الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـــــالي والبحـــث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

جدلية المدينة والإنسان في رواية (خرافة الرجل القوي) لبومدين بلكبير

مذكرة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين :

- بودور نسرين
- سرار عبيرة

إشراف الاستاذة:

أ/ ماضي نوال

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
مراد بوزكور	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
نوال ماضي	أستاذ مساعد – أ–	مشرفا و مقررا
كريمة بوخاري	أستاذ محاضر –ب–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022– 2023م/ الموافق لـ: هـ1443 – 1444هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـــــالي والبحـــث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

جدلية المدينة والإنسان في (رواية خرافة الرجل القوي)

لبومدين بلكبير

مذكرة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين :

- بودور نسرين
- سرار عبيرة

إشراف الاستاذة:

أ/ ماضي نوال

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
مراد بوزكور	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
نوال ماضي	أستاذ مساعد –أ–	مشرفا و مقررا
كريمة بوخاري	أستاذ محاضر –ب–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022– 2023م/ الموافق لـ: هـ1443 – 1444هـ

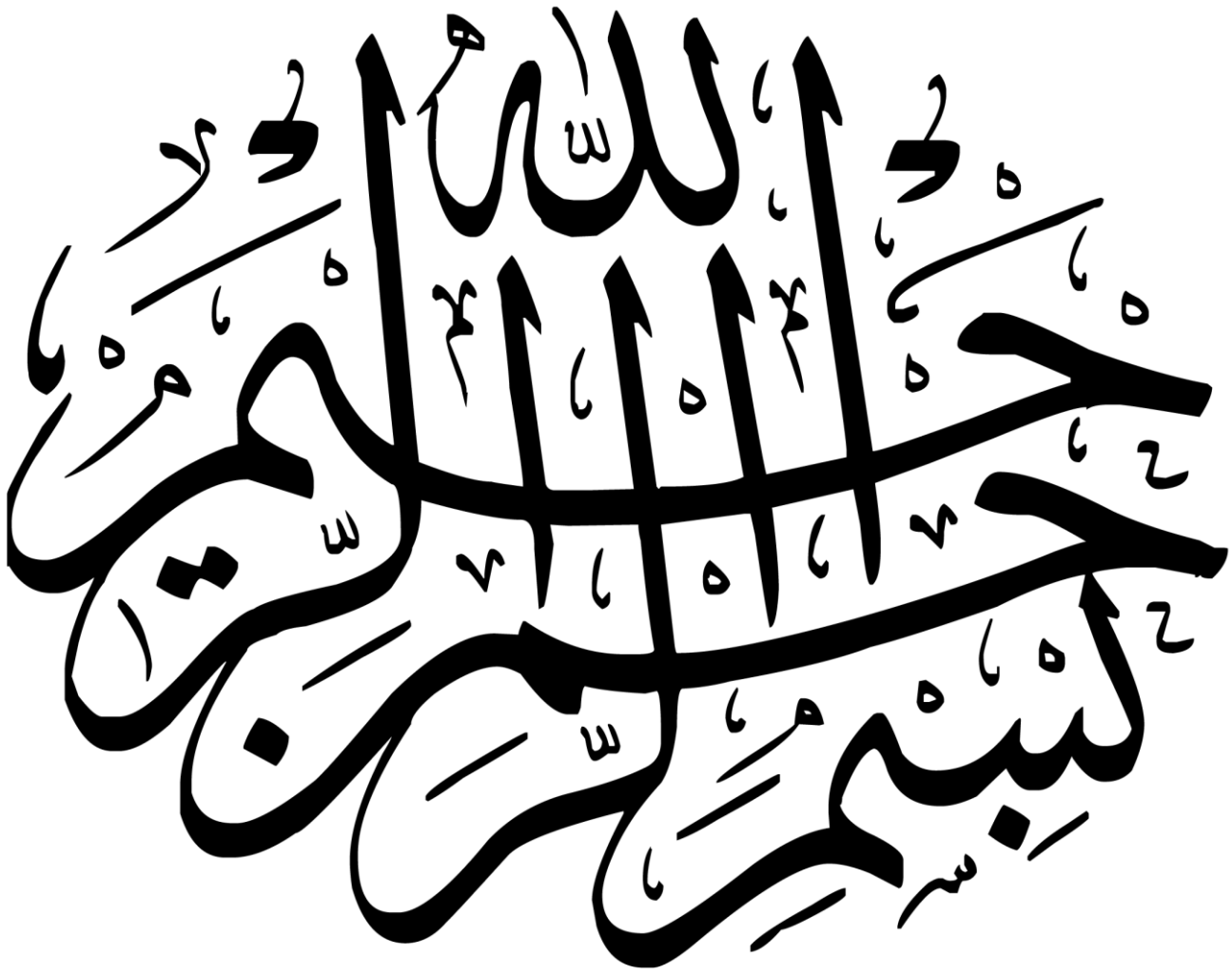
بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدّين. القائل في محكم التنزيل

" وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمْ"

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه" (رواه أبو داوه).

نتقدم بالشكر والتقدير لمن ساهموا في إنجاز هذه المذكرة، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة : نوال ماضي التي قدمت لنا الإرشادات والنصائح القيمة التي أسهمت في نجاح هذا العمل.

جزاها الله كل خير .

كما نتقدم بجزيل شكرنا إلى كل من مدوا لنا يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة على أكمل وجه.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ييسر لنا تحقيق الهدف الذي تم إنجازه، وأن يجزي الجميع خيرا على ما قدموه من جهود وتعاون.

والله ولي التوفيق

إهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير، فلقد كان له الفضل الأول في بلوغ التعليم العالي

(والدي الحبيب بوجمعة سرار) أطال الله في عمره ، ومده الصحة والعافية.

إلى من أفضلها على نفسي، ولما لا، ولقد ضحت من أجلي ولم تدخر جهدا في سبيل إسعادي على الدوام (أمي الحبيبة، فضية العايب) أطال الله في عمرها، وأنعم عليها بالشفاء، ومدها الصحة والعافية.

فأنا اليوم أقوم بإهدائكما بحث تخرجي هذا، وأتمنى من الله أن يطيل لي في أعماركما، ويرزقكما دائما بالخيرات.

إلى إخوتي من كان لهم بالغ الأثر في الكثير من العقبات والصعاب

إلى " خطيبي" " إسلام"

ورفيقي الدائم الذي كان لي سندا ولم يبخل علي في مد يد العون لي لإتمام هذا العمل

إلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل القيم

الطالبة : سرار عبير

إهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير، فلقد كان له

الفضل الأول في بلوغ التعليم العالي

(**والدي الحبيب بودور محمد**) أطال الله في عمره ، ومده الصحة والعافية.

إلى من أفضلها على نفسي، ولما لا، ولقد ضحت من أجلي ولم تدخر جهدا في سبيل

إسعادي على الدوام (**أمي الحبيبة طسطاس سعيدة**) أطال الله في عمرها، وأنعم

عليها بالشفاء، ومدها الصحة والعافية.

فأنا اليوم أقوم بإهدائكما بحث تخرجي هذا، وأتمنى من الله أن يطيل لي في أعماركما،

ويرزقكما دائما بالخيرات.

كما أهدي ثمرة جهدي إلى أخواتي"**حسناء** " و" **أشواق**" **وإخواني** " **فاتح** ، **أنيس**، **يعقوب**

" الذينساندوني وشجعوني على إكمال مسيرتي الجامعية ولم يبخلوا عليا بالتشجيع

إلى من ساندني وخطى معي خطواتي ويسر لي الصعاب

إلى خطيبي العزيز " **أحمد** "

إلى كل هؤلاء أهدي تخرجي وفرحتي لكل روح شاركتني

هذا العمل القيم

الطالبة :نسرين بودور

مقدمة

الإنسان ابن مجتمعه، ورمز هويته، باعتباره الأداة الفاعلة والناشطة في تقدمه وازدهاره ، فهو يتفاعل حسب ما تقتضي الظروف في المحيط الذي يعيش فيه . هذا المحيط الذي تتباين مظاهر التفاعل فيه بناءا على الامتيازات التي يمنحها للإنسان. ولعل أهم أنواع هذا المحيط التي تحقق هذا التفاعل **المدينة**. **فالمدينة** بما تحفل به من إغراءات حضارية، تملي على الإنسان فلسفة خاصة بالمكان، ترسم بها مسارا خاصا تتجاذب فيه رؤاه الفكرية والمعرفية والوجودية. والحقيقة أن هذه الثنائية كانت محل اهتمام أعلام الأدب في العالم، طرحوا من خلال نصوصهم، علاقة التأثير والتأثر بينهما. بحيث اتخذ هذا الطرح أشكالا وصورا مختلفة له، إلا أن ممل النصوص تكشف تبادل قوي بينهما على أساس قانون الأخذ والعطاء.

ولعل أهم الأنواع الأدبية وأكثرها استثمارا واهتماما بهذه الثنائية هي **الرواية**. وهذا الاهتمام ظهر أكثر بظهور المذهب الواقعي الذي يعد مذهبا غربيا، والذي كان له دورٌ واضحُ الأثر في الأعمال الأدبية العربية. فالمذهب الواقعي في الكتابة الأدبية يسمح بتقديم وتصوير الواقع بموضوعية، وعكس الحياة اليومية وما فيها من مشاكل وقضايا، والروائي يتخذ من هذا الواقع نقطة انطلاق لنصه الأدبي ، فهو لا يكتب لنفسه بل يعمل جاهداً على جعل كتاباته تعكس الصّلة بينه وبين مجتمعه.ويختار الكتابة بلغة المجتمع بهدف إنارة الجوانب والمحطات العتمة في حياة الإنسان.

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع في كونه يفتح باب النقاش حول جدلية الإنسان والمدينة في احتكاكهما وتفاعلهما، ومآلات الإنسان داخل المدينة وخارجها. وبناء على ذلك اخترنا لبحثنا هذا عنوان (جدلية المدينة والإنسان في رواية خرافة الرجل القوي **لبومدين بلكبير**) ، في محاولة منّا لخوض غمار البحث في هذا الموضوع، خاصة ما تعلق بجوانب التأثر في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية وكذا الثقافية.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ، الرغبة في معرفة التغيير الذي تحدثه المدينة في شخصية الإنسان، بالإضافة إلى أنها تملي مجموعة من الإغراءات ما يدفع إلى بحث واستكشاف كيفية تأثيرها على الإنسان.

ويسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف منها :

- تسليط الضوء على علاقة المدينة والإنسان، والإحاطة بالتجاذبات التي تكتنف هذه العلاقة.
- تبيان أثر الفضاء الحضاري في رسم ملامح الفكر والوعي والهوية من خلال رواية (خرافة الرجل القوي).
- المساهمة في إضاءة بعض النصوص الروائية الجزائرية، والوقوف على أهمية مضامينها ومدى مواكبتها للواقع.

ومن هنا تأتي إشكالية البحث بالصيغة التالية:

كيف طرحت رواية (خرافة الرجل القوي) تجاذبات الإنسان في علاقته مع المدن؟

وتتوزع هذه الإشكالية على مجموعة أسئلة فرعية أهمها:

_ ماهو الجدل والجدلية في الطرح الفلسفي؟ وكيف جسد الروائي هذه الجدلية في تصوير العلاقة بين المدينة والإنسان؟ ثم كيف وظف الروائي المرجعية المتخيلة والواقعية لمعالجة هذه الجدلية؟

ولقد اعتمدنا في هذا البحث على منهج القراءة الثقافية للشخصيات والمدن ضمن إطار العلاقة الثقافية التي تحكم تفاعلاتهما, هذا المنهج سمح لنا بمقاربة لمضامين الرواية وأبرز القضايا الجلية ، وكذا تحليلها بناءا على التفاصيل الواردة.

ومن أهم المراجع التي اعتمدناها في بحثنا هذا نذكر منها:

- (الجدل والتصور المادي للتاريخ) لسلامة كيلة.
- (مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو) لحاتم النقاطي
- (أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منف) لمرشد أحمد.

ومن بين الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع نذكر على سبيل المثال:

- تحولات المدينة في الرواية العربية المعاصرة " هوية مكة المكرمة وتحولاتها رواية طوق الحمام أنموذجا " لمصطفى سالمي، مجلة آفاق للعلوم مجلد 5 العدد 18(2020).
- المدينة في الرواية الجزائرية المعاصرة روايتي (راس المحنة) و(الرماد الذي غسل الماء) لعز الدين جلاوجي لصباح بوشينة ومروة بوزعوط. مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص نقد عربي معاصر، إشراف كريمة بورويس، 2014م-2015م/ 1435-1436هـ.

ولمعالجة هذا الموضوع، وضعنا خطة منهجية ، سمحت بتقسيم بحثنا إلى مقدمة ،فصلين ،وخاتمة.

مهدنا في المقدمة للموضوع المعالج وأسباب اختياره والأهداف المرجوة منه.

وجاء الفصل الأول بعنوان (مصطلحات ومفاهيم نظرية) تناولنا فيه الإطار النظري للمذكرة ، ووضحنا المفاهيم والتعاريف الخاصة بالجدل والمدينة والإنسان .

أما الفصل الثاني الموسوم بـ (جدلية المدينة والإنسان في رواية خرافة الرجل القوي لبومدين بلكبير) فقد قدمنا فيه دراسة تطبيقية للموضوع في الرواية. حيث تناولنا علاقة الإنسان بالمدينة من حيث مستويي الاتصال

والانفصال، وكذا أنواع المدينة التي تطرحها الرواية، ثم تأثير هذه الأنواع في وجود الإنسان بعناصره الثلاث (الهوية والفكر والوعي). وأخيرا تطرقنا إلى عنصر مهم وهو أنسنة المدينة حيث بيّنا فيه كيف يلقي الإنسان بخصائصه الإنسانية على المكان الحضاري.

أنهينا بحثنا بخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها ، ولعل أهمها أن الرواية كشفت عن مجموعة من القضايا التي كانت مهمشة وغير مدروسة من قبل الكثيرين، كحتمية الاختلالات الهوياتية والفكرية التي يؤول إليها الإنسان في ظل مغريات التحضر والتمدن الغربي.

ولعل أبرز العوائق التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث، تداخل واختلاف وجهات النظر عند الباحثين خاصة في المراجع المتعلقة بالجانب النظري وهذا ما أدى إلى صعوبة الإلمام بالمادة والإحاطة بالموضوع. هذا من جهة، ومن جهة ثانية ، صعوبة استلهام المفاهيم وتطبيقها في الفصل الثاني، ذلك أن قراءة الشخصيات ومواقفها ومحاولة تقريب هذا الوصف وما خصّه الكاتب لها بتلك المواقف، بمفاهيم البحث المعلنة سابقا ، كان من الصعوبة بمكان أن نقبض على الإسقاطات المناسبة للدراسة لتشعّب الشخصيات و كذا كثافة حضور المدن في الرواية. فهذا الموضوع ذو طابع فلسفي يحتاج إلى قراءات عميقة يتوصل بها الباحث إلى الانتقال من فكر مجرّد إلى تطبيقه في الجانب التطبيقي بشكل سليم.

وأخيرا، نحمد الله عز وجل ونشكره على إتمام هذا البحث فله المنة والفضل. لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغات والآداب جامعة محمد الصديق بن يحي على الفرصة القيمة التي منحنا إياها لإنجاز هذا البحث، كذا هيئة التدريس التي دعمت مسارنا، وأخيرا نشكر الأستاذة المشرفة نوال ماضي على التوجيهات والتوصيات القيمة التي قدمتها لنا .

الفصل الأول

مصطلحات ومفاهيم

نظرية

I/ مفهوم الجدلية:

1- المفهوم اللغوي:

2-المفهوم الاصطلاحي:

2-أ- في الفلسفة اليونانية القديمة

2-ب- في الفلسفة الحديثة

II/ مفهوم المدينة:

1-المفهوم اللغوي:

2-المفهوم الاصطلاحي:

III/مفهوم الإنسان:

1-المفهوم اللغوي:

2-المفهوم الاصطلاحي:

تمهيد:

تعد المفاهيم النظرية: الجدلية، المدينة ، والإنسان مفاهيم مترابطة ومرتبطة بشكل كبير ببعضها البعض، حيث تسعى إلى تفسير التناقضات والصراعات التي تحدث بين الأفكار والأشياء في العالم، وما يؤكد ذلك تضارب هذه المفاهيم فيما بينها، بسبب اختلاف وجهات النظر بين الفلاسفة والمفكرين حول هذا الموضوع لاختلاف تطلعاتهم ومستويات فهمهم رغم وحدة المنطلق أحيانا، ويعد فصل " مفاهيم نظرية " هو الأساس الذي يتم من خلاله فهم المصطلحات الرئيسية التي يتناولها بحثنا.

الجدلية هي طريقة تفكير تعتمد على الحوار والمناقشة بين الأفراد حول قضية ما للتوصل إلى حلول مشتركة ومقبولة، وقد استعملت الجدلية في الفلسفة اليونانية القديمة، ولا تزال تستعمل إلى يومنا هذا.

أما المدينة، فإنها تمثل مفهوما اجتماعيا وثقافيا يتعلق بالتجمع البشري، ومركزا للحضارة والنشاط الاقتصادي، كما تساعد على فهم العلاقة بين الفرد والمجتمع .

وبالنسبة للإنسان، فإنه يعد كيانا فرديا يتميز بالوعي والقدرة على التفكير والإدراك، وهو جزء لا يتجزأ من المجتمع.

I/مفهوم الجدلية:

1/المفهوم اللغوي:

ورد لفظ (الجدل) في معجم **لسان العرب لابن منظور**[*]" الجدْلُ: شدّةُ الفتل وجَدَلْتُ الحبل أَجْدِلُهُ جدلاً، إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما، ومنه قيل لزمام الناقة الجَدِيلُ .

ابن سيده: جدَلَ الشيء يجدُلُهُ ويَجْدِلهُ جَدْلاً، أحكم فتله، ومنه جارية مجدولةُ الخلق حسنة.

الجَدْلُ والجَديلُ: الزّمامُ المجدولُ من آدم ومنه قول امرئ القيس

[*] ابن منظور (1232م- 1311م/ 630هـ- 711هـ) هو أديب ومؤرخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية ينظر: ويكيبيديا.

وكشح لطيف كالجديل مخصّر وساق كأنبوب السقي المذلّل " [....][1].

وفي موضع آخر يقول : " والجديلُ: حبل مفتول من آدمٍ أو شعرٍ يكون في عنق البعير أو الناقة، والجمع جُدُلٌ وهو من ذلك التهذيب: وإنه لحسن الآدم، وحسن الجَدْلِ إذا كان حسن الخلق.

والأجْدَلُ: الصقر، صفة غالبة وأصله من الجَدْلِ الذي هو الشّدة وهي الأجادِلُ، كسّره تكسير الأسماء لغلبة الصفة، لذلك جعل سيبويه مما يكون صفة في بعض الكلام، وقد يقال للأجْدَلَ أجْدَليٌ ونظريه عجميٌّ وأعجميٌّ.

والجَدالَةُ: الأرض لشدتها، وقيل: هي أرض ذات رمل دقيق.

والجَدالَةُ: البلحة إذا اخضّرت

واستدارت، والجمع جَدَالٌ

قال الراجز: قد أرْكبُ الاله بعد الاله

وأترك العاجز بالجدَالة".[2]

وورد لفظ (الجدل) في **معجم مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس***، الجدل :" الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام. وهو القياس الذي ذكرناه.

ويقال للزّمام الممر جديلٌ. والجَدْوَلُ: نهر صغير، وهو ممتد، وماؤه أقوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السائح. ورجل مَجْدُولُ، إذا كان قضيف الخلقة من غير هزالٍ.

وغلامٌ جَادِلُ، إذا اشتدّ. والجَدُولُ: الأعضاء واحدها جدَلٌ. والجَدَالُ: الخلال الواحدة جَدالةٌ وذلك أنه صلب غير نضيج وهو في أول أحواله إذا كان أخضراً.

قال: يخرُّ على أيدي السقاة جدَالهُاَ.

---

[1]- أبي الفضل ابن منظور: لسان العرب، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2005م، 1406 هـ، ص 213.

[2]- أبي الفضل ابن منظور: لسان العرب ، ص 214- 215.

* أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (329 هـ- 941 م/ 395 هـ - 1004 م) لغوي وإمام في اللغة والأدب، ينظر: ويكيبيديا.

وجديلٌ: فحلٌ معروفٍ، قال الرّاعي

صُهْباً تُناسبُ شَدْقَماَ وَجديلاً " [1]

أماّ في كتاب (المفردات في غريب القرآن) **للحسن بن محمد الرّاغب الأصفهاني**[*]:" الجدل الجدال والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جَدَلْتُ الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجَديلُ، وجَدَلتُ البناء أحكمته، ودرع مجدولة. والأَجْدلْ الصقر المحكم البنية، والمجْدَلُ القصر المحكم البناء، ومنه الجَدَالُ فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر من رأيه، وقيل الأصل في الجدالُ فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال الصّراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة، قال الله تعالى: " وجَادِلْهُمْ بالتي هيَّ أحْسنُ " [النحل 125]." وكان الإنسانُ أكثَر شيءٍ جَدَلاً ". [الكهف 54]"[2].

2/المفهوم الاصطلاحي:

شغل مصطلح (الجدل) حيزا من اهتمام الفلاسفة والمفكرين، حيث تعددت تعريفاته لدى الكثير منهم.

أ/في الفلسفة اليونانية القديمة:

أ1/مفهوم الجدلية لدى سقراط (470 ق م– 399 ق م): اهتم سقراط بمصطلح (الجدل)، فهو يبحث عن معاني الكلمات التي تدل على طبيعة الأشياء، إذ تكشف كتاباته عن المكانة التي يحوزها هذا المصطلح: " أما سقراط فقد استخدم مصطلح الجدل أو الديالكتيك بأول معانيه " الحوار " أو النقاش في محاولته لتعريف المفاهيم الأخلاقية بصفة خاصة"[3].ومعنى هذا القول أن الجدل عند سقراط يرادف مصطلح الحوار.

---

[1]– أبي الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح إبراهيم شمس الدين، ج1، ط2، الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 2008م، 1429هـ، ص 220.

[*]– أبو الفرج الأصفهاني (284 هـ– 897 م/ 502 هـ– 1108 م)، أديباً عربيا ومن أعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ينظر: ويكيبيديا.

[2]– أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ص 89– 90.

[3]– إمام عبد الفتاح إمام: الجدل في المنطق الأرسطي..وأعمال الفلاسفة المتكلمين، مجلة التفاهم وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطة عمان، 2015/03/31، المجلد 2015 العدد 46، ص 118.

أ2/ مفهوم الجدلية لدى أفلاطون (427 ق م، 347 ق م):

اهتم أفلاطون كذلك بمصطلح الجدل، وأعاره اهتماما كبيرًا في المنظور الفلسفي، إذ توحي كتاباته عن الأهمية التي يحتلها هذا المصطلح.

يقول **جلال الدين سعيد** في " **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية** : " والمقصود بالجدلية أو الجدل عند أفلاطون هو فن الحوار والمناقشة عن طريق الأسئلة والأجوبة (الكراتيل- 390ت). وهي أيضا فن تقسيم الأشياء إلى أجناس وأنواع وتصنيف التصورات والمفاهيم قصد فحصها ومناقشتها(السوفسطائي- 263 ت.ط). وفي هذا السياق تتمثل الجدلية عند أفلاطون في الصعود والارتقاء من تصورات إلى أخرى ومن قضايا إلى أخرى قصد الوصول إلى التصورات الأعم وإلى المبادئ الأولى، وهي التي يعطيها أفلاطون أنطولوجيا (الجمهورية533، ج 534ب - الفيلاب، 57- 58) . إن كلمة الجدل تشير عند أفلاطون إلى حركة الفكر الذي يرتقي من الإحساسات إلى الأفكار (المثل) من الجمال العيني إلى مبدأ الجمال أو الجمال في ذاته."[1] حسب هذا القول فإن الجدل عند أفلاطون مبني على الحوار، والانتقال من مفاهيم إلى مفاهيم ومن قضايا إلى قضايا وصولا إلى الكل المتكامل للأفكار والتصورات.

أ3/ مفهوم الجدلية لدى أرسطو (384 ق م- 322 ق م):

اهتم أرسطو هو الآخر بمصطلح الجدل، حيث شغل عنده حيزا كبيراً وجمع معانيه وقسمه في منطقه.

يقول محمد فتحي عبد الله في كتابه (الجدل بين أرسطو وكنط):" الجدل عند أرسطو هو استدلال يقوم على مقدمات محتملة مستمدة من آراء الجمهور أو العلماء ونعلم أن ممارسة الجدل كانت نشاطا رئيسيا في أكاديمية أفلاطون التي كان ينتمي إليها أرسطو من عام 367 ق م حتى وفاة أفلاطون عام 347 ق م. وقد كان كتاب الطوبيقا الأرسطي كما يبدو ويقصد به أن يكون معينا في هذه المناقشة الجدلية فهو كتاب مختصر لمعرفة كيفية إقامة الحجج أو تقويضها عن طريق المواضع المعطاة أو الفروض مثل القول بأنّ "كل لذة هي خير" وبالرغم من أنّ الفروض الجزئية قد استخدمت كأمثلة في كتاب الطوبيقا، إلا أنها بلا شك مستعارة من المجالات التي كانت في الأكاديمية والمناهج المعدّة لمعالجتها هي عامة تامة، فهي قابلة للاستعمال مع أي فرض من أي صورة، ولذلك فإن كتاب الطوبيقا يعد أول بحث منظم عن الجدل، ويفتخر أرسطو بحق أسبقية معالجته للموضوع، ويرى أرسطو

[1]- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، د ط، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 131.

أنه لكي تكون هناك ممارسة جدلية فلابد من وجود شخصين متجادلين ويترتب على ذلك أن المجادل يستخدم تصورات معينة ".[1]

بمعنى أن الجدل عند أرسطو في نظر محمد فتحي عبد الله هو بمثابة استدلال ووسيلة للتدريب على التفكير.

وفي مقام آخر تحدث **جميل صليبا** عن الجدل لدى أرسطو بقوله: " فرّق أرسطو بين الجدل والتحليل المنطقي، لأن موضوع التحليل المنطقي عنده هو البرهان، أعني الاستنتاج المبني على المقدمات الصحيحة، على حين أن موضوع الجدل هو الاستدلال المبني على الآراء الراجحة أو المحتملة."[2] حسب رأي جميل صليبا فإن أرسطو يفصل بين الجدل والتحليل المنطقي، فهذا الأخير يمثل عنده الحقيقة المجرّدة، في حين أن الجدل لديه هو الاستعانة بآراء ووجهات نظر مختلفة.

ب/ في الفلسفة الحديثة:

عرفَ مصطلح (الجدل) تعريفات عدة مند القدم، فقد تعدّدت أطواره ومراحله في الفلسفة:

ب1/ مفهوم الجدلية لدى ديكارت (1596 م– 1650م):

يتفق المحدثون على أنّ ديكارت لم يعر اهتماما بمصطلح الجدل، ويرون أنّه ركّز على مرادف له هو مصطلح منطق إذ يقول **محمد فتحي عبد الله في كتابه** (الجدل بين أرسطو وكنط): " إننا لا نجد لكلمة جدل أثراً لدى ديكارت إلاّ في المؤلفات التي وضعها باللاّتينية وهو يستعملها عادة كمرادف لكلمة منطق، وبصفة خاصة كمرادف للمنطق الصوري، يقول ديكارت: إنّ علماء الجدل يعرضون لأشكال القياس ويقيمون القواعد التي ترتبط بمقتضاها القضايا ارتباطا وثيقاً بحيث يبتدؤون من قضايا معروفة وينتهون بصورة آلية إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة، ويرى أنّ علماء الجدل يظنون بأنهم يسيطرون على العقل البشري، حينما يوصون ببعض أشكال الأقيسة التي تنتهي إلى نتيجة ضرورية، و العقل يستطيع في أغلب الأحيان إذا وثق بتلك الأشكال أن ينتهي بفضلها إلى نتائج أكيدة على الرّغم من أنه لا يبدل جهداً في النظر إلى الاستدلال ذاته بصورة تتصف بالبداهة

[1]– محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط (دراسة مقارنة) ، ص 16– 17.

[2]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت– لبنان،1982، ص 392.

وهذا يعبّر عن مفهوم ديكارت للجدل"[1]. وقد يعني ذلك أنّ ديكارت لم يتطرق إلى الجدل كمصطلح مثل غيره ممن سبقوه من الفلاسفة، بل استعمله كمرادف لكلمة منطق عامة، وكمرادف للمنطق الصوري خاصة.

ب2/ مفهوم الجدلية لدى كنط (1724 م – 1804 م):

عُرف الجدل عند كنط بالمنطق الصوري أو منطق الخداع، وذلك بإظهار التناقضات والمغالطات التي يقع فيها العقل بقوله: "عرّف كنط الجدل تعريفات مختلفة في سياقات مختلفة: عرّفه في مكان ما بأنه منطق الخداع ويقصد بذلك أن الجدل يتناول مبادئ صورية للفكر لكن بعض من استخدموه كانوا ميالين إلى جعله أداة لتوسيع معارفنا عن الأشياء وهم في ذلك مخدوعون لأنهم ظنوا أنهم اكتشفوا بالجدل معارف جديدة عن العالم، لكننا نجد تعريفا آخر يسوقه كنط للجدل الأرسطي فيقول عنه أنه ذلك الذي يستبعد كل مضمون للمعرفة وينحصر في استعراض الأغاليط الكامنة في صورة الأقيسة، وهما تعريفان مختلفان وكلاهما بعيد عن معنى الجدل الأرسطي"[2].

يعكس هذا المفهوم نظرة كنط الفلسفية للجدل، إذ طرح منظورا جديدا له يجعله منطقا مخادعاً. وفي حديثه عن التعريف الأرسطي للجدل فإنه ينفي كل ما هو معرفي ويحصره في كونه مجرد الأغاليط الكامنة في صورة الأقيسة.

وفي مقام آخر جاء في موسوعة لالاند الفلسفية ل**أندريه لالاند:**" يطلق كنط اسم جدليات، على كل الاستدلالات الوهمية، ويحدد الجدل عموما بأنه منطق المظهر "[3].

ب3/ مفهوم الجدلية لدى هيجل(1770م– 1831م): تأثر هيجل في منهجه الجدلي بفلسفة هيراقليطس 536 ق م. 470 ق م. وفي هذا الصدد يقول **محمد فتحي عبد الله** في كتابه (الجدل بين أرسطو وكنط): " لن تجد عبارة قالها هيراقليطس إلا واحتضنتها في منطقة. ولعل هذا ما دعى ول ديورات إلى القول بأن هيراقليطس هو هيجل اليونان، وقد رأى هيجل أن الجدل الهيراقليطي جدل موضوعي، حيث أن هيراقليطس قد انتقل من الوجود باعتبار الفكر المباشر إلى المقولة الثانية وهي الصيرورة، وهذه أول فكرة عينية كما رأى أن فكرة المطلق تعادل عند

[1]– محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط (دراسة مقارنة)، ص 21.

[2]– المرجع نفسه، ص 22.

[3]– أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع خليل أحمد خليل/ أحمد عويدات، ط2، مج1، A–g ، منشورات عويدات، بيروت– باريس،2001,ص273.

هيراقليطس وحدة الأضداد، وبهذا تصل الفكرة الفلسفية عند هيراقليطس إلى صورتها النظرية. ويتضح المنهج الجدلي عند هيجل من تقسيمه للفلسفة، فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

-المنطق أو علم الفكرة الشاملة في ذاتها ولذاتها.

- فلسفة الطبيعة أو علم الفكرة الشاملة في الآخر.

- فلسفة الروح أو عالم الفكرة الشاملة وقد عادت من الآخر إلى نفسها"[1].

بمعنى أن الجدل عند هيجل من حركة ضرورية تنتقل من الدعوى إلى نقيضها مستخلصاً من الاثنين مركباً يتحول بدوره إلى دعوى تستدعي نقيضها وهكذا ودواليك، كما أنه آمن بأن الجدل ليس صفة عارضة للتفكير ولا خاصية أو نشاط ذاتي له يمكن أن ينطبق على الموضوع من الخارج بل له طابع موضوعي عام.

تطرق **محمد الأمين بحري** في حديثه عن المنطق الجدلي عند هيجل إلى جملة اعتبارات ودوافع خاصة به مفادها: " لقد استوحى هيجل المنطق الجدلي، ليس لوقوعه على اكتشاف حقيقة ما وإنما لاكتشافه الصورة الإيجابية لقوة الفقدان؛ ذلك الكيان الهلامي الذي لا شكل ولا وحدة ولا مرجع له، والذي يحول كل القيم السلبية من تلاشي وضياع وتبدد إلى دوافع لاستكمال الناقص وامتلاك المفقود...حتى وإن كثرت المفقودات هناك، فهذا ليس شقاءً وألما، بل سعادة ومتعة وحلماً، ما دمنا نمتلك ذلك الوعد بالتحقق الذي تمدنا به قوة الفقدان"[2]. يتضح من خلال قول محمد الأمين بحري مدى فعالية الصورة الإيجابية للفقدان في تحويله القيم السلبية إلى إيجابية عند هيجل.

تناول الفلاسفة الجدل بمفاهيم عديدة ومختلفة، وطبعه كل واحد منهم بطابعه الخاص، فالجدل عند هيجل بالنسبة **لسلامة كيلة** في كتابه حول الجدل المادي:

" يترجم في صيغ شتى، ولكل منها تعبيرات خاصة لا تتوافق بالضرورة، فهناك مثلا: (التوافق ، التناقض، التركيب)، وهناك : (الفريضة النفي، نفي، النفي)، وكذلك : (الموضوع - الإثبات- التأكيد)، والنقيض (

[1]- محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط (دراسة مقارنة)، ص 22.

[2]- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، (دراسة في نقض النقض) ، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف الجزائر: 1436هـ- 2015 م، ص 21.

النفي- السلب) والمركب". [1] ومنه الجدل عند هيجل حسب سلامة كيلة يقوم على ثلاث قضايا التوافق والتناقض والتركيب، فاعتبر (الفريضة) بأنها التوافق، ونقيضها النفي، والتركيب هو الجمع بينهما واقترانهما في حيز واحد.

ب4/ مفهوم الجدل لدى كارل ماركس (1883م- 1818م):

ذكر **سلامة كيلة** في كتابه (الجدل والتصور المادي للتاريخ) بأن الجدل عند كارل ماركس هو الصيرورة الفكرية التي تقابل الواقع :" لكن طريقة التفكير هذه أي الجدل، باتت منذ ماركس تنطلق من أن الواقع هو محدد الأفكار، وبالتالي فإنّ كل وضع اقتصادي له مستوى معيناً من الوعي، بعكس ما ذهب هيجل. وهذا هو التغيير الذي أحدثه ماركس في جدل هيجل، لكنه عكس زاوية النظر، وفرض البحث في الواقع لفهم صيرورة تطور الأفكار والسياسة بالإجمال"[2]. [...]

وفي موضع آخر أشار **سلامة كيلة**لمفهوم الجدل المادي عند ماركس بقوله:

"وهو ما بلور الجدل المادي، كطريقة تفكير مكتملة، تتضمن الفلسفة لكنها ليست فلسفة وتتضمن الاقتصاد لكنها ليست علم اقتصاد، وأيضا تتضمن الوجود الاجتماعي دون أن تكون علم اجتماع. إنها تبحث في كلية المجتمع في صيرورته"[3]. تتضح فكرة سلامة كيلة حول الجدل عند كارل ماركس في تحديده معنى الواقع من أجل اكتشاف الصيرورة، ومحاولته في توضيح ماهية الجدل المادي للبحث في مستويات الوجود الاجتماعي والعلاقة بينها.

وفي مقام آخر أشار إلى أنّ كارل ماركس ثار على أفكار هيجل بالإتيان بفكرة التركيب والعودة إلى الواقع مستلهما الجدل: " وماركس هو الذي توصل إلى التركيب، عبر العودة بالفكرة إلى الأصل (أي الوجود الحقيقي)، من جهة، وكذلك عبر السير بمنطق هيغل إلى منتهاه، فقد توقف هيغل في حدود الفكر، مؤكدا على أنه محدد الواقع، والطابع المادي الذي أعطاه ماركس الأولوية يتحدد هنا، أي أنه أكمل " العملية الجدلية ". فماركس إذن هو محقق اكتمال الجدل، وليس هيغل الذي كان " صوريا " في النتيجة "[4].

---

[1]- سلامة كيلة: حول الجدل المادي، سلسلة دراسات ماركسية (13)، ط1، منشورات الوعي الجديد، 2011م، ص 09.

[2]- سلامة كيلة: الجدل والتصور المادي للتاريخ، سلسلة دراسات ماركسية (10)، ط1، منشورات الوعي الجديدة ، 2010م، ص 6.

[3]- المرجع نفسه، ص 7.

[4]- المرجع نفسه، ص 12.

تطرق سلامة كيلة في حديثه عن الجدل عند كارل ماركس من خلال مبدأ هيجل بصياغة الجدل على الصعيد الفكري . مع إضافة بصمته الخاصة والإتيان بفكرة التركيب وإكمال العملية الجدلية.

استنادا لما جاء في كتاب (البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية) **لمحمد الأمين بحري** فإنّ كارل ماركس عمل على الجمع بين الميثافيزيقا والواقع المادي وذلك في قوله: " إن نقض الميثافيزيقا، هو نقض للواقع المادي، لأنه لا أساس للميثافيزيقا من دون الواقع (أي في العدم)، ولا أساس للواقع من دون الميثافيزيقا. أي نقض لأحد الطرفين هو نقض لكليهما؛ أي نقض للجدلية التي هي ضرورة كونية، وللوعي، الذي هو ضرورة إنسانية، مع أن الضرورة كما الموت فكرة ميثافيزيقية بامتياز."[1] ومعناه أنّ الميثافيزيقا والواقع في نظر محمد الأمين بحري وجهان لعملة واحدة، أي نقض الميثافيزيقا يتطلب نقض الواقع والعكس صحيح.

وفي مقام آخر يرى **محمد الأمين بحري** في كتابه أنّ كارل ماركس استبدل (الجدلية المثالية) لهيجل (بالجدلية المادية)، حيث درس في ثناياها الفكر والإبداع للإنسان، وربط الكل بالواقع بالمادي، حيث يقول: " إن ماركس قلب هيجل على رأسه عندما استبدل المنطق المتسامي la logique traiscondantale لهيجل من وضعه المثالي الماهوي (الماهية سابقة للوجود) إلى الوضع المادي الوجودي إلى (الوجود سابق للماهية)، مبقيا على أهم عنصر فيه وهو المبدأ الجدلي الذي حمل مع ماركس طبيعة مادية تنطلق من كون الإنسان يتفاعل ويتأثر بالواقع ليصنع تاريخه . فالانحدار بالفلسفة الجدلية من المثالية المادية كان إدراكا لجوهر العلاقة بين الواقع والإبداع، أو ما عبرت عنه الفلسفة الماركسية بالجدلية القائمة بين البنيتين التحتية والفوقية."[2]

من خلال هذا الطرح لمحمد الأمين بحري قام ماركس بقلب منطلق هيجل القائم على أن جدل الواقع هو انعكاس لجدل الفكر بجعله جدل الفكر انعكاس لجدل الواقع، ومحاولة معرفته لطبيعة العلاقة القائمة بين الواقع والإبداع.

[1]- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية (دراسة نقد النقض) منشورات الاختلاف – منشورات ضفاف الجزائر، 1436هـ، 2015م، ص 35.

[2]- المرجع نفسه، ص 36.

II/مفهوم المدينة:

1 /المفهوم اللغوي:

جاء في **لسان العرب لابن منظور** : " والمدينة الحصْنُ يُبْنى في أَصْطُمّةِ الأرض مشتق من ذلك، وكلّ أرض يبنى بها حصْنٌ في أَصْطُمّتها فهي مدينة، و النسبة إليها مدنيٌّ، والجمع مدائنُ ومُدُنُ، قال ابن سيده: ومن هنا حكم أبو الحسن فيما حكاه الفارسي أن مدينة فعيلة. الفراء وغيره: المدينة فعيلة، تهمز في الفضائل لأن الياء زائدة، ولا تهمز ياء المعايش لأن الياء أصلية ."[1]

وجاء في **محيط المحيط لبطرس البستاني**: " مدنَ بالمكان يمدُن مدُناً أقام. وهو فعل مماتٌ. ومدّن المدينة أتاها. مدّن المدائن تمدينا مصّرها وبناها وتمدّن الرجل تخلّق بأخلاق أهل المدن وانتقل من حالة الخشونة والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة أو مولّدة.[...]المدينة المصر الجامع وقيل الحصن يبْنى في أصطمّة الأرض (راجع البلد في باب الباء) ج مدائن ومُدُن ومُدْنٌ قيل المدينة وزنها فعيلة لأنها من مَدَنَ بمعنى أقام [...] والمدينة أيضا الأمة وستة عشر بلداً ."[2] من خلال هذين التعريفين يتبين أنّ مفهوم المدينة يدل على معنى البناء والتشييد والعمران في سائر الأرض وأن كل كائن حي يسكن الأرض فهو مدني.

ورد في معجم **الصحّاح للجوهري**: " مدن: مَدَنَ بالمكان : أقام به. ومنه سميت المدينة، وهي فعيْلةُ، وتجمع على مدائنَ بالهمز، وتجمع أيضا على مُدْنِ ومُدْنٍ. بالتخفيف والتثقيل، وفيه قول آخر: أنّها مَفْعِلةٌ من دِنْتُ، أي: مَلَكْتُ. وفُلانُ مدّن المدائنَ، كما يقال: مصّر الأمْصارَ، وسألت أبا علي الفسوي عن همز مدائنْ فقال: فيه قولان، من جعله فعيلةً من قولك: مَدَنَ بالمكان، أي: أقام به، همزه؛ ومن جعله مفْعِلةً من قولك: دينَ، أي : مُلكَ، لم يهمزه، كما لا يهمز معايش. وإذا نسبت إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت: مدنيٌّ، وإلى مدينة المنصور مديْنيٌّ، وإلى مدائن كسرى مدائنيٌّ للفرق بين النسب لئلاّ يختلط، ومديْنْ : قرية شعيب عليه السلام."[3]

---

[1]- أبي الفضل ابن منظور: لسان العرب، مج 14، ط4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2005، ص 40.

[2]- بطرس البستاني: محيط المحيط، مج8، تح محمد عثمان، ط1، دار الكتب العلمية؛ بيروت، لبنان، 2009، ص 265.

[3]- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصّحاح، تح: محمد تامر، مج 1، دار الحديث القاهرة، 1430هـ- 2009م، ص 1069.

وجاء في معجم **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**: " مدَنَ: مُدوناً أتى المدينة، مدينة، ج مُدُنْ ومدائنْ: تجمع سكاني حيث غالبية السكان يعملون في التجارة أو الصناعة أو الإدارات العامّة (أرامية): "ضواحي مدينة"، " مدينة بيروت " [...] مدنيٌ: ساكن مدينة، ابن مدينة// خاص بالدولة وبتنظيم العلاقات بين مواطنيها: " زواج مدني" غير عسكري: " لباس مدني " " دفاع مدني" " طيران مدني "[...] مدنيًا: بموجب القانون المدني " مسؤول مدنيا".

مَدينيّ: في المدينة : " بيت مدينيٌّ "

مُدُنيٌّ: منسوب إلى المدن : فن مُدنيُ" " متعلق بالمدنِ: تنظيم مُدُني " [...] تمدّنْ: تحضر، انتقل من حالة البداوة إلى المدينة والحضارة: "تمدّن شعب" تمدّن بلد " أصبح أكثر لطفا وتهذيبا: " تمدّن فلان " " اكتسب الصفة المدينية: " تمدّنت منطقة "[1].

ولمفردة المدينة في اللغات العربية مقابلاتُ في اللغات الأجنبية ففي المعاجم الأجنبية يتفق اللغويون على أنّ مفردة المدينة مشتقة من كلمة (civis) اللاتينية، حيث جاء في معجم **مصطلحات الثقافة والمجتمع**: " ومن الناحية الاشتقاقية تستمد " المدينة " (city) أصلها من كلمة (civis) اللاتينية"[2].

2/ المفهوم الاصطلاحي:

ورد في **معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**:" وحتى هذا كانت الإيحاءات الاجتماعية للمصطلح تسبق الإيحاءات الجغرافية، فقد كان الرومان يطلقون على دول المغول المستقلة civitates ، ثمّ تمّ تضييق المصطلح فانحصر بالمدينة الرئيسية التي كانت تستقر فيها الحكومة المدينة والسلطة الأسقفية. وهكذا كانت كلمة (civitates) تشير في المقام الأول إلى صور التنظيم الاجتماعي، وفي المقام الثاني إلى حامليها من أهل المدينة المواطنين (citizem)، وحينئد تم الانتقال بالاتساع المجازي إلى موقع المواطنة، وبقي يطلق على اسم المكان (urbs) أو في الإنجليزية القديمة (baich). ولم يصبح استخدام " مدينة" للإشارة إلى مستوطنات حضرية ذات نطاق واسع كمعيار حتى وقت متأخر في بواكير القرن التاسع عشر، في الوقت الذي صارت تتكون فيه المدن

[1]- حموي صبحي، نعمه أنطوان، الحموي مأمون، حشيمه كميل إسكندر: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ط2، دار المشرق، بيروت، 2001، ص 1326- 1327.

[2]- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، تر: سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان أيلول- سبتمبر، 2010، ص 604.

الصناعية والاستعمارية الجديدة الكبرى"[1]. ومنه فالمدينة مبنية على مقامين: أولهما يشير إلى حد ما لمستوطنة مبنية في موقع محدّد، وثانيها إلى صور التنظيم الاجتماعي التي تقوم في ذلك المكان وأهميتها الرمزية.

وفي مقام آخر يقول:" المدينة هي مجموعة من الصور المعمارية في المكان ونسيج من الارتباطات والمشاريع المتفاعلة والمؤسسات التي تشغل هذه البنية الجمعية وتفاعلت معها بمرور الزمن."[2]

ويشير ذلك إلى أنّ المدينة هي مهد الحضارة، ورمز تقدم الأمة واستقرارها، والبيئة التي تنمو فيها الثقافات.وعلى هذا فحضارات الدول هي حضارات مدن.

في المفهوم الاصطلاحي للمدينة تعود الدراسات الأولى حول الاجتماع البشري للتمدن إلى **ابن خلدون** حيث جاء في مجلة البيداغوجيا: "وعرّفها ابن خلدون بقوله إنّ المدن قرار، يتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتتأثر الدعة والسكون وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار."[3] وحسب هذا القول فإنّ المدينة هي مكان للعيش والاستقرار، يتخذه الإنسان بعد تحصيل الغاية المرجوة لشخصه.

شغل مصطلح المدينة حيزا كبيرا لدى الفلاسفة والمفكرين وكذا علماء الاجتماع، فقد جاءت كتاباتهم مرآة عاكسة لما يحمل هذا المصطلح من معنى.

ورد في كتاب (المدينة والحياة المدنية) **لنخبة من أساتذة التاريخ** تعريفهم للمدينة بقولهم: " إنها رقعة واسعة من الأرض تأوي عدداً كبيراً من السكان غير المزارعين اللذين يعيشون على مبادلة المنتوجات المصنعة والخدمات الضرورية لمواد الطعام، والمواد الخام، ويعتمد وجودها على هذه المبادلة."[4] فالمدينة بهذا المفهوم رقعة جغرافية واسعة تحوي أكبر عدد من السكان.

وجاء في كتاب (مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو) **لحاتم النقاطي**: " إنّ المدينة عند أرسطو هي نتاج للطبيعة وبالتالي يمكن دراستها بنفس المنهج الذي ندرس به كل كائن حي أي بمنهج التحليل التجريبي."[5]

---

[1]- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، ص 604- 605.

[2]- المرجع نفسه، ص 605- 606.

[3]- سالمي العيفة: المدينة بحث في الأسس العامة للتنظيم، مجلة البيداغوجيا، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، ص 225.

[4]- نخبة من أساتذة التاريخ: المدينة والحياة المدنية، (دراسات في تاريخ العراق وحضارته)، ج1، بغداد، 1988م، ص 15- 16.

[5]- حاتم النقاطي: مفهوم المدينة (في كتاب السياسة لأرسطو)، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية- اللاّذقية، 1995م، ص 73.

ومن خلال هذا القول يتبين أن حاتم النقاطي استحضر مفهوم أرسطو للمدينة الذي جعل منها نتاجاً للطبيعة يمكن دراستها بمنهج التحليل التجريبي.

وورد في كتاب (المدينة والسياسة) **لعبد القادر عرفة** أنّ فلاسفة الإسلام اختلفت آرائهم في تعريف المدينة حيث يقول الفرابي: " إنّ المدينة لا يتم أمرها إلاّ بأن يكون فيها رؤساء و مرؤوسون، فالرؤساء مثل الأفاضل وذوي الأسنان وذوي التجارب والمرؤوسون كل من دون هؤلاء من الصبيان والشبان والجهّال."[1]

نستخلص من هذا القول أنّ المدينة تخضع لسلطة الحاكم والمحكوم، في حين يمثل الحاكم (الرؤساء) أو سادة الناس، والمحكوم (المرؤوسون)، أو عامة الناس.

وتناول **علي عبد الرؤوف** في كتابه (مدن العرب في رواياتهم) تعريفا للمدينة بقوله: " يمكن تعريف المدينة بأنها مجموعة الفضاءات / الفراغات التي صاغها الإنسان لتكون سكنه وتحتوي وجوده الفردي والجماعي ."[2]

ويعني ذلك أنّ المدينة هي فضاء وجود الإنسان التي تعبر عن كينونته.

إلى جانب التعريفات السالّفة الذكر هناك تعريفات أخرى للمدينة حيث يعتبر ماكس فيبر ممن حاولوا تعريف المدينة على أنها: " ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة وملموسة في أساليب وطرق الحياة، مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتغير الاجتماعي التاريخي."[3] عرّف ماكس فيبر ضمن الشكل الاجتماعي تسمح بالوصول إلى أسمى الدرجات الفردية الاجتماعية، أي أنها تمثل نقطة تحول للتغير الاجتماعي.

تحدّث **لويس ويرث** في تعريفه للمدينة بقوله: " عبارة عن موقع دائم للإقامة يتميز بكبر الحجم وارتفاع الكثافة السكانية، يسكنه أفراد غير متجانسين اجتماعيا."[4] ويعني ذلك أن المدينة هي عبارة عن مكان للإقامة يسكنه أناس ليسوا متجانسين اجتماعيا.

---

[1]– عبد القادر عرفة: المدينة والسياسة (دراسة في الضروري في السياسة لابن رشد)، ط1، مؤسسة فريد ريش إيبرت الألمانية، القاهرة، 2006م، ص 98.

[2]– علي عبد الرؤوف: مدن العرب في رواياتهم، ط1، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة– جمهورية مصر العربية، يناير 2017م، ص 65.

[3]– فريق موقع بوابة علم الاجتماع: تعريف المدينة عند رواد علم الاجتماع،20،2023/4/18:00.www.b-sociology.com.

[4]–المرجع نفسه.

أما **روبيرت بارك** فقد صاغ مفهوما للمدينة مغايرا للمفهومين السابقين حيث يعرّفها بقوله: " المدينة ليست مجرد تجمعات من الناس، مع ما يجعل حياتهم فيها أمرا ممكنا، مثل الشوارع والمباني ووسائل المواصلات، كما أنها ليست مجموعة من النظم والإدارات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات المدنية من أي نوع، إن المدينة فوق هذا كله اتجاه عقلي، مجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد "[1].

استنادا لهذا التعريف فإن المدينة عند روبيرت بارك من خلال منظوره الشخصي تمثل اتجاه عقلي، ومحتكمة بمجموعة من العادات والتقاليد.

III /مفهوم الإنسان:

الإنسان كائن حي ومخلوق آدمي الذي أصبح بأمر الله خليفته في الأرض، فكان أفضل مخلوقاته باجتماع العقل والروح والجسد لديه، ولا يزال بعيداً عن الكمال الذي حاول السعي إليه والسمو لأجله، فهو يؤدي وظائفه اليومية بما يتناسب مع شريط حياته، جنس يشمل الذكر والأنثى، وبالتالي يمثل الجنس والنوع في الوقت نفسه.

– الإنسان في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: " إِنَّا خَلَقنَا ٱلإِنسَٰنَ مِن نُّطفَةٍ أَمشَاج نَّبتَلِيهِ فَجَعَلنَٰهُ سَمِيعَا بَصِيرًا "

[سورة الإنسان/ الآية 2]

وقال أيضاً: " علَّمَ الإنْسانَ مَا لَمْ يعْلَمْ ".[سورة العلق/ الآية 05].

وقال أيضاً:" فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ". [سورة عبس/ الآية 24].

وقال أيضاً:" إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ"[سورة العاديات/ الآية 06].

[1]– المرجع نفسه.

وقال أيضاً:" ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ". [سورة البلد/ الآية 04].

وقال أيضاً:" فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ".[سورة الفجر / الآية 15].

1/المفهوم اللغوي:

تحمل مفردة (إنسان) معانٍ عدّة في المعاجم العربية، ويرجع ذلك التعدد إلى الاشتقاق والاستعمال الحقيقي المجازي، إذ يرى **الخليلابن أحمد الفراهيدي***:" أن لفظ الإنسان هو في الأصل: أُنسيانْ، لأن جماعته: أُنَاسيُ وتصغيره أنَيْسيانْ".[1]

وقال عز وجلّ:" وأُناسيَ كثيراً "[الفرقان/ الآية 49].والإنسان صخرة في رأس الجبل والإنسان، الأنملة، ونسأت الشيء: أخّرته، ونسأته: بعته بتأخير، والاسم : النسيئة والنسيء: المذق في اللبن الحليب. ونسأت ناقتي: دفعتها في السير. والمنسأة : العصا تنسأ بها والمنتسأ من الإبل: المباعد لجربه، والإنتساء: التباعد، ونسأ في الظمأ: زاد فيه والنسيئة: تأخير الشيء ودفعه عن وقته. ومنه النسيء، وهو شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية من الأشهر الحرُم، وكان عبيد بن عميرة يقول في قوله عزّ وجلّ:" مَا نَنسخُ من آيةٍ أو نُنْسهَا". "[البقرة/ الآية 106].أي نؤخرهاوننسها، أي شركها والمنسأة: العصا لأنّ صاحبها ينسأ من نفسه وعن طريقه الأذى، وبها سميت عصا سليمان عليه السلام منسأةٌ...وإنْسيُ القوس: ما أقبل عليك والوحشِ: ما أدبر عنك...وقد أنستُ بفُلان وقيل: الطّيبة النفس التي تحب قربها وحديثها. وأنستُ فزعاً وأنستهُ: إذا حسّست ذاك ووجدته في نفسك، والبازي يتأنس إذا جلّى ونظر رافعًا رأسه، وآنست شخصاً من مكان كذا، أي رأيت، وأنست في فلان ضعفا أو حزماً، وكلب أنوسْ، وهو نقيض العقور".[2]

جاء في لسان العرب لابن منظور: " الإنسان أصله إنْسيانٌ لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره: إنْسيَانٌ فذلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم وفي حديث ابن صيّاد: قال النبي،

---

*- الخليل ابن أحمد الفراهيدي البصري: (100 هـ – 718م) / 173 هـ - 789 م) شاعر ونحوي عرب بصري يعد عالما بارزاً و إماماً من أئمة اللغة والأدب العربي، وهو واضع علم العروض، ينظر : ويكيبيديا.

[1]- الخليل ابن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، تح مهدي المخزومي السمرائي، بيروت، دار مكتبة الهلال، ج07، ص304.

[2]- المرجع نفسه، ص 304 - 308.

صلى الله عليه وسلم، ذات يوم: انطلقوا بنا إلى أُنَيْسيانْ قد رأينا شأنه، وهو تصغير إنسان، جاء شاداً على غير قياس، وقياسه أُنْسيانٌ، قال : وإذا قالوا أناسينٌ فهو جمع بيّنٌ مثل بستان وبساتين، وإذا قالوا أناسيّ كثيرا فخففوا الياء أسقطوا الياء التي تكون فيما بين عين الفعل ولامه مثل: قراقير وقراقر، وبين جواز أناسيّ بالتخفيف قول العرب أناسية كثيرة، والواحد إنسي وأناس إن شئت، وروي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما، أنه قال: إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي، قال أبو منصور: إذا كان الإنسان في الأصل إنسيانٌ فهو إفْعلانٌ من النسيان وقول ابن عباس حجة قوية له، وهو مثل ليلا إضْحيانْ من ضحيّ يضحى، وقد حذفت الياء فقيل إنسانٌ [...]"[1].

وفي موضع آخر يقول:

" والإنسان أيضا: إنسان العين، وجمعه أناسيٌ. وإنسان العين المثال الذي يرى في السواد؛ وقال ذو رمة يصف إبلا غارت عيونها من التعب والسير:

إذا استحرست آذانها، استأنت لها.

أناسيّ ملحود لها في الحواجب "[2]

كما ورد في **معجم الوسيط**: "الإنسان الكائن الحي المفكر . (ج) أناس (أصله أناسين). وإنسان العين: ناضرهما، وإنسان السيف والسهم حدهما.

والإنسان الراقي ذهنا وخلقا و الإنسان المثالي: الذي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور (مج). (ج) أناسيٌ.

(الإنسانية): خلاف البهيمة. و- جملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات .(مج).

الإنسيٌ: نسبة إلى الإنس. و- واحد الإنس .و- الجانب الأيسر من كل شيء.

[1]- ابن منظور: لسان العرب ج1، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت- لبنان، 2007، ص 170.
[2]- المرجع نفسه، ص 171.

و- جانب العضو من ناحية الجسم . (ج) أناسيٌ"[1] .

2/المفهوم الاصطلاحي:

عُرّف الإنسان علميا على أنه أكثر الكائنات الحية على كوكب الأرض غموضاً، وذلك لاتصافه بسمة التفرد التي جعلته محط الاهتمام والبحث من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين.ويشيع اصطلاح (الإنسان) في الأعمال والأبحاث الفلسفية القديمة والحديثة، ذلك أن هذا المفهوم لا يستقر على معنى واحد عبر التاريخ، فالتغييرات الزمنية تلقي بإضافاتها عليه.

يقابل مفهوم الإنسان في الفلسفة صورتين مختلفتين، صورة معنوية تحيل إلى ذلك الكائن الاجتماعي الذي يتميز بمجموعة من المعارف والمكتسبات، خصائص إنسانية تسمح له بالانفتاح على غيره من البشر، وتكوين علاقات داخل المجتمع مع ذاته، ومع غيره.

وصورة مادية تحيل إلى ذلك الجسد الفيزيائي الذي يميزه عن باقي الكائنات الأخرى(نبات، حيوان...إلخ) ويسمح له بممارسة حياته العملية (أكل، شرب، تنقل، تواصل، عمل...إلخ).

اهتم الفلاسفة منذ القدم بمفهوم الإنسان للاعتبارات السابقة، ووضعوا مفاهيم اصطلاحية مختلفة، يعرّفه **إيمانويل كنط** في كتابه (ثلاثة نصوص تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير ؟)، الإنسان: " هو المخلوق الوحيد الذي يجب تربيته، ونقصد فعلاً بالتربية الرعاية (التغذية، التعهد) والانضباط والتعليم المقترن بالتكوين (Bilding)، من هذه الزوايا الثلاث، يكون الإنسان رضيعاً، وتلميذاً، وطالباً" [2].

من خلال هذا التعريف، فإن كانط يضع المعايير المناسبة لمفهوم الإنسان لتمييزه عن سائر المخلوقات.

أما **فيورباخ** فالإنسان عنده: " سيد المخلوقات ذلك لأنه يتميز عن الكائنات الحية الأخرى بالعقل وهذا الأخير (العقل) هو أعلى مراحل الوجود الإنساني، فبالعقل يدرك الإنسان ما يدور حوله وما هو موجود في

[1]- إبراهيم أغيس، عطية صوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد: معجم الوسيط، ج1، ط2، مطابع دار المعارف، مصر، 1322هـ-1972م، ص 29- 30

[2]- إيمانويل كنط: ثلاث نصوص تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، تع تع ، محمود بن جماعة ، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2005، ص 11.

الكون، وفي المعنى ذاته، والوعي عنده في الإحساسات، فالوعي هو شعور بالذات والقدرة على التميز بواسطة الحواس وعلى إدراك الموضوعات الخارجية والحكم عليها من خلال بعض الدلالات المحسوسة."[1]

ففيورباخ يميز الإنسان بخاصية العقل، والوعي، والحواس.

وتطرح الكثير ن التوجهات الفلسفية الحديث والمعاصرة مفهوم الإنسان كمطلق ومبدأ فلسفي هام, وأهم هذه التوجهات التي تعتمد الوجود الإنساني هي الفلسفة الماركسية. إذ جاء في كتاب (مفهوم الإنسان عند ماركس) **لإريك فروم** أن:" الإنسان بوصفه إنسانا هو كينونة قابلة للمعرفة والإدراك"[2]. يتضح من خلال هذا القول أن الإنسان عند ماركس كائن عاقل حي.

وورد في كتاب (الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية) **لمحمد باقر الصدر** عن رأي الماركسية حول مشكلة الإنسان: " أن الإنسان يتكيف روحيا وفكريا وفقا لطريقة الإنتاج، ونوعية القوى المنتجة[...]وأما المفكرون غير الماركسيين فهم يقرون عادة: إن قدرة الإنسان على إدراك النظام الأصلح...تنمو عنده من خلال التجارب الاجتماعية التي يعيشها"[3]. بمعنى أن الإنسان يعمل على إيجاد نظام أصلح للتكيف مع وجوده داخل محيطه.وتصب أغلب الدراسات الحديثة في المفهوم نفسه.وفيما يلي نماذج عنها:

فقد جاء في كتاب (أرسطو والمدينة) لـ **إمام عبد الفتاح**، الذي تناول التعريف الأرسطي للإنسان والذي يحدده بناء على جنس الكائن، أنه " يختلف الذكر في تعريفه للأنثى بما له من ملكات خاصة فنحن نعني بالذكر ذلك الذي ينسل في الآخر، ونعني بالأنثى تلك التي تنسل من داخل ذاتها بحيث يخرج النسل من باطنها، وهو النسل الذي كان موجوداً في الناسل من قبل." [4] ويتضح من خلال التعريف الأرسطي حسب إمام عبد الفتاح إمام أن لكل من الذكر والأنثى قدرات وملكات خاصة تميز كلا منهما عن الآخر، فهناك القوي والضعيف، ولا شك أن الذكر يكون أكبر قدرة من الأنثى في عملية الإنجاب.

---

[1]- لغرس سوهيلة: مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، مفهوم الإنسان في ضوء الفلسفة والدين الإسلامي، مجلد 7، العدد الثاني، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر (الجزائر) 2022/06/01، ص 1314.

[2]- إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، تر، محمد سيد رصاص، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا – دمشق، ص 43 .

[3]- محمد باقر الصدر: الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية، ط3، دار الكتب العلمية، النجف الأشرف، 1388هـ، ص 11-16.

[4]- إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، ط1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص49.

ويرى **عثمان أمين** في كتابه (رواد المثالية في الفلسفة الغربية) أنّ وجود الإنسان بالنسبة لديكارت مرتبط بالفكر إذ يقول: " أنا أفكر إذا أنا موجود: هذا هو مبدأ " الكوجيتو" المشهور الذي جعله ديكارت نقطة انطلاق للميثافيزيقا الحقة، والذي تستخرج منه سلسلة بديعة من النتائج: وأولها أنّ الإنسان يفكر وأنه موجود من حيث أنه مفكر. وهذه الحقيقة إنما ندركها بلمحة نفاذة من لمحات الفكر الواعي المنتبه (...) أنا أعرف نفسي الآن موجودًا ولا أعرف نفسي إلاّ كذلك. ووجود الفكر عندي أشدّ " ثبوتا" من " وجود " الجسم. وطبيعة نفسي وماهيتها هي الفكر، والنفس مستقلة عن الجسم، ومعرفتي لها أيسر من معرفتي له"[1]. ومعنى هذا حسب عثمان أمين أن وجود الإنسان عند ديكارت مرتبط بالعقل، والفكر هو جوهر النفس ودليل على وجودها.

وورد في كتاب (الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها) **لأميرة حلمي مطر**، تعريف الإنسان عند أفلاطون على النحو التالي:" والإنسان عند أفلاطون كائن ذو طبيعة ثنائية فهو بما له من نفس ينتمي للعالم العقلي الإلهي الخالد وبما له من جسد ينتمي للعالم الحسي الفان وحقيقته وجوهره هي النفس الإنسانية فهي محاورة القيبادس نفس توجه بدنا"[2] وقد يعني ذلك أن الإنسان عند أفلاطون حسب منظور أميرة حلمي مطر، يشكل عائقا أوليا ومنطلقا في مسألة الخير والسعادة لذاته.

خلاصة القول، وبعد عرضٍ وجيزٍ للمفاهيم السابقة المؤطرة للفصل الموالي، فإنها تتخذ طابعاً فلسفياً ما يجعل العمل عليها يتوزع على جوانب مختلفة تجمع هذه المفاهيم في شكل علاقات ستتوضح من خلال الدراسة التطبيقية الموالية، والتي ستسعى لمقاربة هذه الجوانب ومآلاتها داخل الرواية.

[1]– عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية، د ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص 22– 23.

[2]– أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، طبعة جديدة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص192.

الفصل الثاني

جدلية المدينة والإنسان في رواية
(خرافة الرجل القوي) لبومدين بلكبير

I/قراءة في رواية (خرافة الرجل القوي)

II/ أنواع المدينة في الرواية

1- المدينة الواقعية

2-المدينة المتخيلة

III/ علاقة الإنسان بالمدينة في الرواية

1-علاقة اتصال

2-علاقة انفصال

IV/المدينة ووجود الإنسان في الرواية

1-المدينة وفكر الإنسان

2-المدينة وهوية الإنسان

3-المدينة ووعي الإنسان

V/الإنسان وأنسنة المدينة

1-الأماكن المفتوحة

2-الأماكن المغلقة

تمهيد:

المدينة تؤثر في الإنسان وهو يؤثر فيها، وذلك بفعل مجموعة من العوامل التي تسهم إلى حد كبير في تحديد هويته، فالمدينة تحوي عددا من الأفكار والثقافات والمعتقدات، كما تعطي الإنسان الفرصة في إظهار قدراته وتعزيز مكتسباته العقلية، وتتيح له المشاركة في مختلف القطاعات، فهي بمختصر العبارة تشكل هوية الأفراد، وتبنيهم اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وفي المقابل يؤثر الإنسان على المدينة من خلال إسهامه في تطويرها وتغييرها إلى الأفضل، كما يؤثر في الطبيعة والمحيط المدني الذي يعيش فيه.

ولهذه العلاقة التأثيرية المتبادلة بينهما جانب سلبي كما لها جانب إيجابي، وذلك على حسب العقليات والوضع السائد في المجتمع الحضري، وفيما يلي سنحاول الإحاطة بهذه العلاقة في رواية (خرافة الرجل القوي) **لبومدين بلكبير** بإبراز جلّ مظاهرها على الجانبين، ومن شتى الجوانب.

I/قراءة في رواية (خرافة الرجل القوي):

صدرت رواية (خرافة الرجل القوي) للكاتب والباحث الجزائري **بومدين بلكبير** عام 2016م، عن منشورات الاختلاف / الجزائر، منشورات ضفاف/ لبنان، الرواية جاءت في ثلاثة أقسام، و 13 فصلا وأربع مدن:باريس شارلوروا، قسنطينة وعنابة على الترتيب، كانت مسرحا لأحداثها. وهي رواية اجتماعية بالدرجة الأولى، تناول فيها الكاتب عدة قضايا وإشكاليات كثيرة ومتنوعة، ولعل من أبرزها مسألة الهوية (هوية البطل جواد).

جسّد الكاتب في روايته رحلة بين الشرق والغرب من نظرة الأنا الشرقي للآخر الغربي، مصوراً معاناة المهاجرين في الضفة الأخر، وواصفا الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في المدينة، وقد عمد الكاتب للانتقال من مكان إلى مكان في سرده لأحداث الرواية، متحدثا بضمير الأنا تارة وبضمير الآخر تارة أخرى.

لجأ الكاتب إلى استعمال لغة بسيطة وواضحة، مزج فيها بين اللغة العربية الفصحى والعامية التي تعكس الواقع الذي يعيشه الشعب الجزائري.

واتسم أسلوب الكاتب في روايته بالتركيز على أدق التفاصيل ليتيح للقارئ فرصة خوض التجربة لا إمتاعه فحسب إذ أيقظت لديه الحس في طرح التساؤلات.

تبدأ أحداث الرواية من مدينة شارلوروا البلجيكية، وتنتهي في مدينة عنابة الجزائرية، وتكمن حبكة الرواية في كونها رحلة بين الماضي والحاضر، وتعدد الشخصيات التي تقود إلى الحقائق، انطلاقا من حادثة مقتل سليم زهري على يد ثلاثة شبان أتراك في حديقة عمومية بمدينة شارلوروا ببلجيكا، بعد ما قرأ **جواد** بطل الرواية في صحيفة يومية خبر مقتل الشاب سليم، الذي يحمل نفس لقبه زهريو هو ما دفع به إلى البحث عن القرابة التي تربطهما، وتنطلق رحلته من مدينة باريس متجها نحو قسنطينة إحدى مدن الشرق الجزائري، التي أظهرها الكاتب بأبهى حلة بمكونها الثقافي وتراثها العريق، وكانت هذه المدينة مسرحا لانتحار العديد من الأشخاص من بينهم **لمين مرير**، والشاعر **فاروق أسميرة**، وانتحار **رشيد زهري** عم البطل...إلخ.

لم يجد بطل الرواية جواد أثراً لعائلة سليم زهري في قسنطينة وبعد خيبة أمل كبيرة تصله أخبار مفادها أنه قد يعثر عليهم، ويجد مبتغاه في مدينة عنابة، المدينة الساحلية ذات الحدود التونسية، لينتقل بدوره إلى هناك، وبعد جهود ومحاولات عدة وتنقلات كثيرة في أروقتها تَصادف خلالها بأشخاص كثر ساهموا في التعريف بها وبطابعها الخاص، وبعد مكوث شبه مطول فيها في سبيل الوصول إلى لغز الجريمة، ليكتشف بعدها بطل الرواية جواد بأنه وسليم أخوان من أب واحد.

II/أنواع المدينة في الرواية:

1/المدينة الواقعية:

إن المدينة في الرواية العربية نوعان واحدة واقعية وأخرى متخيلة، فالمدينة الواقعية هي الفضاء الذي تدور فيه الأحداث، وتشير إلى مدينة حقيقية واقعية موجودة بالفعل، تعاش كتجربة في الواقع، تعكس طبيعة العلاقة المتبادلة بينها وبين الإنسان.

من خلال رواية (خرافة الرجل القوي) يتبيّن أن الروائياستحضر المدينة الواقعية أو الفضاء الواقعي بصفة غالبة، ويتجلّى ذلك في الفصل الأول من الرّواية، إذ ذكر الكاتب مدينتي باريس وشارلوروا فكلا المكانين حقيقيين وواقعين، وتتضح الواقعية في الرواية من خلال الحركة بين هاتين المدينتين:" فكلّما كنت أقطع شوارع مدينة شاَرْلوْرْواَ

بسيارتي أو راجلاً، إلاّ ولمحت بعض الشبان الأفارقة والعرب ومن جنسيات أخرى موزّعين على جنبات الطّرق..."[1]

كما يبرز الفضاء الواقعي في الرواية بتحديد المدّة الزمنية في الانتقال بين شارْلُوروَا وباريس قصد العمل:" الطريق من شارلوروا إلى باريس يتطلّبْ أكثر من أربع ساعات".[2]

ويستمر الراوئي في تجسيد الفضاء الواقعي من خلال رحلة جواد في البحث عن **عدنان عبد اللاوي** في الحانات والمقاهي والشوارع، وهو أحد الشخصيات التي ساهمت في تقديم فضاء واقعي جديد، وذلك باسترجاع قصّة حياته:" عائلتي أغلبها من الدّار البيضاء...أبي تركنا أنا وأمّي واختار صديقته البلجيكية النصرانية، لذلك اضطرت أمّي لمغادرة بلجيكا والعودة إلى المغرب...بعد مُضي سنوات قرّرت أمّي العودة إلى بلجيكا..."[3]

ويتجلّى الفضاء الواقعي كذلك في الفصل الثاني المعنون بقسنطينة المعلقة، حيث ذكر الرّاوي في سياق حديثه مقهى النجمة إذ يقول:" خرجنا أنا ورفيق، أخذني بسيارته إلى مقهى النجمة العريق، ما أن دخلت حتّى أحسسْت بقشعريرة في كامل جسمي، للمكان رهبته وتاريخه...السقف والجدران مغلّفة بالخشب المنقوش تظهر لي لوحات لأهم شيوخ فن المألوف والموسيقى الأندلسية ...أنتبه أن الجدار نقشت في وسطه نجمة كبيرة الحجم وعلى يمينها علّق عود خشبي، وعلى شمالها علّقت ربابة. أرفع رأسي، أنظر صوب الثرية الزجاجية المضيئة المعلقة في السقف، والتي تتدلى وسط نجمة نحاسية محاطة بالخشب."[4]

ويواصل الروائي إيراد الفضاء الواقعي في الفصل الثالث من الرواية المعنون بعنابة المحروسة وذلك في قوله: " في الخارج تطل كنيسة أوغسطين من ربوّتها العالية بكل رهبة وفتنة...في مدخل المدينة يربض مقام العالم والولي الصّالح إبراهيم بن التومي، المكان الذي كان من أهم ثغور المقاومة والّدفاع عن المدينة من هجمات الأعداء."[5]

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 9.

[2]- المصدر نفسه،ص 11.

[3]- المصدر نفسه، ص 34.

[4]- المصدر نفسه،ص 62.

[5]- المصدر نفسه،ص 95.

ونقل لنا الراوي في صورة مجسّدة لمدينة عنّابة لابلاص دارم بقوله:" المدينة القديمة، بمعمارها العثماني والأندلسي والكولونيالي والعربي العريق..."[1] .

ويواصل الحديث عن مدينة عنابة بالثناء على بلدية شطايبي إذ يقول:" بلدية شطايبي ترحّب بكم ". مدينة صغيرة بناياتها بسيطة، تحيط بها الخضرة والجبال الكثيفة الأشجار المطلة على شريط ساحلي مدهش...هواءها منعش ومريحة من ضوضاء المدن وقيظ فصل الصيف الرّطب..."[2]

2-المدينة المتخيّلة:

المدينة المتخيّلة هي عبارة عن مكان لا يثبت صحّة وجوده، فهو شبه افتراضي غير مُعاش في الواقع، كما يُدرك ذهنيا على عكس المدينة الواقعية التي تدرك بالتجربة.

إنّ الفضاءات المتخيلة في الرواية قليلة مقارنة بالفضاءات الواقعية وذلك لانعدام حالة اللاوعي، ومع ذلك ورد هذا النوع من الأمكنة المتخيلة في الرواية رغم مرجعها الواقعي التي ذكرها **جواد** من نسج أحلامه:" غفوتُ واستيقظت أكثر من مرة، أحسستُ بألم حاد في رقبتي...كنتُ أراهم حقيقة، لم أكن أهذي. كانا يجلسان على طاولة في أقصى زاوية في المقهى التركي، يرتشفان الشّاي الأحمر الخفيف، الكوب تلو الآخر."[3]

كما تبرز الفضاءات المتخيلة كذلكمن خلال استحضار الراوي لشخصية ميغيل سرفانتس، بقوله:"بتُّ كبطل ميغيل سرفانتس، أراني أصارع طواحين الهواء كدون كيشوت دي لامنتشا.

لماذا أتذكر سرفانتس الآن؟

وأستحضر أسره في الجزائر؟"[4].

من خلال ما سبق نستنتج أن المدينة الواقعية والمتخيلة في الرّواية هي مفهوم يشير إلى نوعين مختلفين من المدن التي ذكرها الروائي، فهما مدينتان ذات طبيعيتين متناقضتين، ولكنّهما مترابطتان في الخيال والواقع، فقد

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 116.

[2]- المصدر نفسه،ص 131.

[3]- المصدر نفسه، ص 29.

[4]- المصدر نفسه،ص 91- 92.

اعتمد الروائي على الفضاء الواقعي لإبراز الأحداث الحاضرة والمتعاقبة عبر الزمن، ويتجلى هذا من خلال عناوين عتبات الفصُول، فكلها أماكن حقيقية وواقعية، إضافة إلى الدّور الذي تلعبه الأماكن المتخيّلة في استمرار الأحداث وتسلسلها بتضافر الشخصيات.

III/علاقة الإنسان بالمدينة في الرواية:

1/علاقة اتصال:

يعد الاتصال بؤرة العلاقات الاجتماعية، لذلك كان محل اهتمام من قبل العديد من المفكرين والباحثين، فكلما نجح الفرد في الاتصال مع الآخرين، كلّما ساعد ذلك في نجاحه في الحياة، كما أنّ نجاح الأمم والشعوب مرتبط بهذه المعادلة.

يعرف الاتصال بأنه قد يكون: " اتصال ذاتي أو فردي أو جماهيري أو حضاري، كما يؤخذ على سبيل المثال ليعكس معان أخرى مثل: اتصال هاتفي اتصال سلكي، اتصال لا سلكي، اتصال إذاعي، أو عن طريق الانترنت، كما قد يقصد بالاتصال بأنه اتصال سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو لغوي أو عاطفي أو جنسي أو اتصال حسي أو شمي. وما إلى ذلك من دلالات ومعاني متعددة تظهر من خلال لغة الحديث أو الجمل أو العبارات وما يهدف نوعية الاتصال وهدفه ووظيفته أيضا، ومن هنا فإن كل هذه الأمور السالفة الذكر هي التي تحدّد مفهوم وطبيعة الاتصال.[1]"

وبالعودة إلى الرواية موضوع الاشتغال، فإن الروائي قد قارب مستوى اتصال الإنسان بالمدينة في الرواية، حيث تحدث مثلا عن اتصاله بالمدينة من حيث عمله، في مدينة شارلوروا، إذ يقول:"وبحكم أنني أقضي من يوم إلى ثلاثة أيام من كل أسبوع في قسم الشركة " بشارلوروا"، حسب ما تقتضيه ظروف العمل، وبقية أيامي موزعة على مشاريع شركتنا في فرنسا أو هولندا أو ألمانيا..." [2].

[1]- بوعزيز بوبكر: محاضرات في مقياس : مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2017، 2018، ص 8-9.

[2]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ط1، منشورات ضفاف- منشورات الاختلاف، بيروت- لبنان، 1437هـ/2016م، ص 9.

وفي موقف آخر يقول الراوي: "بعد أن استعدت نشاطي بدش ساخن، أغلقت باب المكتب والباب الخارجي، وطفقت خارجا. فغالبا ما كنت أخرج من المكتب وفي بعض الأحيان كنت أدخل مكتبي ليلا بسبب متابعة مشاريع شركتنا الموزعة على ورشات في مدن أوروبية عديدة.

شغلت محرك السيارة، وما هي إلا لحظات حتى انطلقت بالغولف الجديدة في حقيقة الأمر منذ جلبت لي إدارة الشركة هذه السيارة، تيسّرت تنقلاتي وبتُّ قادراً على السفر في أي وقت أشاء. كما تتحمل الشركة كذلك تكلفة البنزين، وهو ما أراحني كثيراً.[1]"

ويواصل الراوي حديثه عن طريقة تأدية عمله والوقت الذي يستغرقه في مكتبه أكثر من الوقت الذي يقضيه في بيته بقوله:" على الرغم أنني تعودت على حياة التنقل والسفر والتعب، فالوقت الذي أقضيه في السيارة يتجاوز الوقت الذي أقضيه في بيتي، فما بالك إذا أضفت له الوقت الذي أقضيه بين ورشاتنا وبين مكتبي، حتى أنني كثيراً ما كنت أضطر لأخذ حاسوبي معي إلى البيت، كي أنجز بعض التصميمات، أو أعدلها، أو أدقق في مراعاتها المعايير المعمول بها، لأن في المشاريع التي تنفذها شركتنا لا مجال لأي خطأ أو انحراف صغير...قبل أن أتنقل لتفقد موقع ورشة مشروعنا في وسط شارلوروا، قصدت مكتبي في موقع الشركة.[2]"

2/علاقة انفصال:

الانفصال يشير إلى نزوح فرد أو جماعة عن المدينة، لرغبة ذاتية أو بفعل محرضات لبلوغ هدف معين، ويعرّف الانفصال بأنه:" انسحاب مجموعة من كيان أكبر حجم، كيان سياسي بشكل خاص، أو من أية منظمة أو اتحاد أو حلف عسكري. يمكن أن تكون تهديدات الانفصال إستراتيجية لتحقيق أهداف أكثر محدودية.لذلك فهو عملية تبدأ بمجرد إعلان مجموعة ما فعل الانفصال (على سبيل المثال إعلان الاستقلال) يمكن أن يجري عبر عملية سلمية أو عنيفة ولكن لا يغير ذلك من طبيعة النتيجة، وهي إنشاء دولة أو كيان جديد مستقل عن المجموعة أو الإقليم الذي انفصل عنه."[3]

وردت في الرواية الصور مختلفة جسدت مستوى الانفصال (انفصال الإنسان عن مدينته) .

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 14-15.

[2]- المصدر نفسه ، ص 22.

[3]- 16 ماي 2023، 00: 8 ، ويكيبيديا:ar.m.wikipedia.org

تمثلت الصورة الأولى للانفصال في فعل الهجرة ومنها هجرة الجزائري الأصل **سليم زهري** الذي ذهب من مدينة عنابة بطريقة غير شرعية بقوله:"ما أعرفه عن **سليم** أنه هاجر إلى أوروبا من أجل العمل والعيش بكرامة قادما من رأس الحمرا بعنابة على متن قارب متهالك...بعد رحلة الموت تلك وصل القارب إلى جزيرة سردينيا الإيطالية،لم تكن إيطاليا مقصد سليم، كانت بمثابة نقطة انطلاق إلى الجنة الموعودة."[1]

وهناك كذلك هجرة نور التي عاشت ضحية للسلطة الذكورية من طرف خالها، بسبب الأعراف والعادات والتقاليد التي تمليها قسنطينة المدينة التي تعيش فيها، ما جعلها تهاجر منها إلى مدينة بوخارست رومانيا من أجل اللحاق بأبيها إذ يقول :" فبعد سنوات من مغادرة والدها اضطرت للحاق به، قبل حتى أن تكمل دراستها الجامعية."[2]

إضافة إلى هجرة **عدنان عبد اللاوي** رفقة والدته من بلجيكا إلى المغرب والعودة من المغرب إلى بلجيكا إذ يقول:" اضطرت أمي لمغادرة بلجيكا والعودة إلى المغرب...بعد مضي سنوات قررت أمي العودة إلى بلجيكا."[3]

إلى جانب الهجرات السالفة الذكر، هناك كذلك هجرة **نور** إلى مدينة فرنسا بقوله:" كان انضمام رومانيا للإتحاد الأوروبي بمثابة فرصة **لنور** للذهاب إلى فرنسا دون الحاجة إلى إجراءات التأشيرة المعقدة. وقد تم قبول طلبها فيها بعد لاستكمال التسجيل في دراسات الماستر في جامعة السوربون العريقة، وكان ذلك بالنسبة لها فرصة كبيرة أخرى لم تكن تتوقع أن يمنحها القدر لها ذات يوم"[4].

ويواصل الراوي في حديثه عن هجرة عائلة والد **جواد** بقوله : " وهربا من أسئلة الناس الحارقة، ونظراتهم القاتلة، قررت عائلة أبي الانتقال إلى مكان جديد للإقامة به."[5]

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 39.

[2]-المصدر نفسه،ص 13.

[3]- المصدر نفسه،ص 34.

[4]- المصدر نفس: ص 14.

[5]- المصدر نفسه، ص 19.

كما نلمس هجرة أخرى **لجواد** وزوجته **نور** من فرنسا إلى مدينة قسنطينة لبرهة من الزمن حيث يقول:" حجزت لنا تذكرتين نحو قسنطينة في رحلة بعد الغد، يجب أن ترى عائلتك، أن تتعرف على أهلك، أن تعرف هوية تلك الجثة، من غير المعقول أن تظل هكذا كغصن مقطوع من شجرة".

كما يحكي بطل الرواية عن المهاجر المغربي **عثمان الشعبي**، إذ يقول :" وقد أخبرني ذات يوم عمي عثمان الشعبي وهو عامل الصيانة عندنا في الشركة، قدم إلى بلجيكا قبل عشرين سنة من نواحي مدينة الصويرة المغربية."[1]

-وتمثلت الصورة الثانية للانفصال في الرحلات :

رحلة **جواد** من مدينة قسنطينة إلى عنابة بحثا عن سبب مقتل **سليم زهري**:" أخرجني السائق من غفوتي اللذيذة حين أخبرني بأننا على أبواب مدينة "عنابة."[2]

خلاصة لما سبق فإن علاقة الإنسان بالمدينة علاقة تأثيرية وتبادلية، حيث يمثل الإنسان محوراً أساسيا فيها، إذ تؤثر المدينة على الفرد من جميع النواحي الاجتماعية والثقافية وكذا الاقتصادية، فالإنسان إذا كان في حالة اتصال بالمدينة فهو مرتبط بها بشكل وثيق وإيجابي، وذلك من خلال توفير الخدمات والمرافق الضرورية له والحياة الاجتماعية المزدهرة التي يحلم بها، وإذا كان في حالة انفصال فهو عملية فصل الأفراد عن المدينة، بالانتقال من بيئة إلى أخرى لتغيير ظروف العيش أو لأسباب شخصية خاصة، فالاتصال والانفصال عمليتان متناقضتان.

IV/المدينة ووجود الإنسان في الرواية:

1/ المدينة وفكر الإنسان:

يتضمن الفكر مجموعة واسعة من العمليات العقلية، التي يستعملها الإنسان في التعامل مع المعلومات وترتيبها حسب المقتضيات، حيث يُعرف عن الفكر أنّله معنيان، أحدهما خاص والثاني عام: "فالمعنى الخاص: هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها. والمعنى العام: يطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ومناط الفكر هو العقل، والعقل: (هو قوة للنفس بما تستعد للعلوم والإدراكات)، وعرّف بأنه:(جوهر تدرك به الغائبات

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 9.

[2]- المصدر نفسه،ص 95.

بالوسائط والمحسوسات المشاهدة). والتفكير: (هو نقل الحس بالواقع، إلى الدماغ بواسطة الحواس ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع)."[1]

يتضح تأثير المدينة على فكر الإنسان في رواية(خرافة الرجل القوي) من خلال بعض المواقف، والوصف والحوارات الداخلية والخارجية التي تدور بين الشخصيات، إذ عمد الروائي إلى بيان الصراع القائم بين المهاجرين العرب والغربيين حول مسألة التمييز العنصري، **فجواد** قُوبل بالرّفض من طرف الآخر الغربي، وفي ذلك يقول:" أمَا باتريك الذي صادفته خارجاً من مكتبة لم أبالي بثرثرته التافهة ومشاركته الحديث، سوى الاكتفاء بمبادلته ابتسامة مصطنعة بذلتُ جهدا عظيما في تصنّعها، فكلما يراني يحاول التظاهر بأنّه يكنّ لي كل الود، ثقافة متأصلة فيهم، لما يقابلونك يبتسمون في وجهك، وبمجرد أن تلتفت يتكلمون عنك بالسوء في ظهرك ! ."[2]

ويواصل حديثه عن عدم تماطله في العمل بقوله:" في الحقيقة أريد أن أتفادى الوقوع في أي تقصير، كي أتجنب كل الملاحظات السلبية المحتمل أن تأتي من عند رؤسائي في العمل."[3]

وفي حادثة مقتل **سليم زهري** الجزائري الأصل من طرف مجموعة شباب أتراك أردف **مارسيل** قائلا:" ماذا يأتينا من العرب غير العنف والإجرام !؟ فهؤلاء المهاجرون نمنحهم الحرية والحقوق التي لا يحلمون بها في بلدانهم البائسة، ثم يكافئوننا بالتفجيرات الإرهابية أو بالانحراف والإجرام !

كنت أنظر بذهول في وجه مارسيل المنفجر حقدا وكراهية، وأرقب وجوه الحاضرين وأنا شبه غائب عن رشدي..."[4]

ويواصل مارسيل في استحقار وإهانة جواد زهري بقوله:" إنه يحمل نفس لقبك العائلي، فلا أستبعد أن يكون قريبك إنكم من طينة واحدة سواء تولدون في بلدانكم أو في بلداننا، لا فارق. العنف والإجرام والشرفي جناتكم حتى ولو تناسلتم معنا فجيناتكم أقوى."[5]

---

[1]- أيسر فائق الحسن الألوسي: محاضرات المدخل لدراسة الفكر الإسلامي، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإسلامية- رمادي قسم العقيدة والدعوة والفكر، ص 02.

[2]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 24.

[3]- المصدر نفسه،ص 25.

[4]- المصدر نفسه،ص 26.

[5]- المصدر نفسه،ص 26.

وبنفس النظرة التي نظر بها الغرب إلى العرب، فإن العرب بادلوهم نفس الشعور وذلك في قول **عدنان عبد اللّاوي** :" بلاد الكفّار يا أخي لم يكفهم عهرهم، فزادوا غَلبُوا علينا حتى نساءنا، وبتنا لا نتحكم فيهن !إنهم لا يحبوننا يمقتوننا، لا يحبون العرب، لا يحبون الإسلام. درست معهم اختلطت بهم، سكنت بجوارهم، عاشرتهم، النصارى كلاب، لا يحبوننا، حتى وإن تظاهروا بالعكسْ."[1]

جواد متشبع بفكرة أن أوروبا متسامحة مع الأجانب خاصة المسلمين حيث أحدث كلام **عدنان عبد اللاوي** عن بلجيكا نوعا من الاستغراب في نفسية **جواد** إذ يقول: " كان عدنان يتكلم، وكان استغرابي يزيد. بلجيكا بلد متسامح مع المسلمين مقارنة بالبلدان الأوروبية الأخرى، يسمحون لهم ببناء المساجد وأماكن العبادة، قاموا بإدراج مواد متعلقة بالتربية الإسلامية في المنهاج التعليمي لمن يرغب من أبناء المسلمين...بلجيكا بلد التسامح. ما هذا التناقض الصّارخَ؟ "[2]

ويتبين مدى تأثير المدينة على فكر الإنسان (المدينة بمظاهرها الحضارية)، في موقف جواد الفكري من مدينة قسنطينة. إذ يبدو في كثير من المواضع في الرواية أنه يقدم قراءاته للمدينة بناءً على المناظر والظواهر التي تقع عيناه عليها.

ففي (مونولوج) طويل يجريه، يكشف عن موقف سلبي اتجاه أرض أجداده وآبائه بسبب حالة الضياع والتيه التي تسببها له. وتعكس الإيديولوجية الواردة في المونولوج –والتي يكشف من خلالها عن زيف المظاهر الحضارية للمدينة – عنمدى وعيه بحقيقة المكان، يقول :" لم أكن أدرك أنني بقدومي إلى أرض الآباء والأجداد سأنبش في الماضي على قسوته، وأفتح عيني على بشاعة الحاضر، وضبابية المستقبل الذي لن يأتي.

يا ليتني ما جئت !

يا ليتني ما عرفت !

لم أعرف بلدا مليئا بالتناقضات كهذا البلد !

فقد جعلوه يعيش على المفارقات !

[1]– بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 37–38.

[2]– المصدر نفسه، ص 38.

الماء أغلى من البترول، فثمن قارورة الماء أغلى من سعر اللتر بنزين أو مازوت !!

المشروبات الغازية وغير الغازية سعرها أغلى من النبيد !! "[1]

ويطرح جواد في موضع من الرواية، ما يمكن تسميته بالنفاق الحضاري، والعقائدي، والسياسي.

يقول:" إسم الله وظفوه في المقدس والمدنس ! عندما يفتح صاحب المخمرة محله يقول توكلت على الله ! والداخلون عنده لاقتناء قارورات النبيد يحيونه بتحية الإسلام ويردها عليهم، ويزيدهم أحيانا كلمة بارك الله فيكم.

أقحموا اسم الرب في رذائلهم وشهواتهم !

يهشون في التجارة وشفاههم تتمتم باسم الخالق!

وقبلها كانوا يقتُلون ويقتَلون باسم الرب المعبود!

الساسة يسرقون البلد. بمباركة الزوايا ورجال الدين!

هل هؤلاء يمكن أن تعول عليهم لبناء وطن؟ ! أو لتشييد دولة لا تزول بزوال الرجال ؟!"[2]

وفي صورة أخرى يتحدث الروائيعن أهمية القراءة والتعليم استنادا لما قاله عن الشعراء والمثقفين:" المثقفون والشعراء هم روح المجتمع ونبضه، هم أصوات الشعوب المقهورة، متى حوصرت الحريات وصودرت الآراء، متى توقف النبض الحي."[3]

ويبدي الرواي تحسره عن وطنه الأم قائلا:" فجأة وقف من مكانه، ثم مشى باتجاه المكتبة، توقف أمامها برهة زمن كأنه يبحث عن شيء ما...فتح الكتاب على صفحة مطوية على طرفها العلوي، ثم قرأ:

أتوق لوطني أن يكون حرا

مثل عصفور حر

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 89.

[2]- المصدر نفسه، ص 90.

[3]- المصدر نفسه،ص 74.

لا أطيق تحمله مكبلا

أتوق لوطني أن يكون سعيداً

لعل أطفاله يولدون وسط الأغاني ..."[1]

وفي مشهد آخر يتحدث الرواي عن الشاعر أبي سي الشريف اذ يقول:" أبي سي الشريف (رحمة الله عليه)، كان شاعرا يكتب القصيد، بالإضافة إلى أنه ملحنا بارعا في طبع غناء المألوف ذي الأصول الأندلسية، وهذا باعتراف أرباب وشيوخ هذا الفن في عنابة وقسنطينة، وكانت مكتبته المصنوعة من خشب الجوز تملئ رفوفها بمخطوطات وكتب الفقه والفلك والأدب."[2]

وفي موضوع آخر أثار انتباه **جواد** بعض الكتب الموجودة في المعرض الخاص بالكتب، فراح يسأل صاحبها عمّا إذا كانت من تأليفه بقوله: " صباح الخير سيدي، أردت أن أسأل: إن كل هذه الكتب التي أمامك من تأليفك؟

ابتسم بعمق ثم رفع رأسه، ووجه نظره صوبي، وبصوت هادئ صقلته تجارب حياته، وبياض شعرات رأسه، ومكانته الاجتماعية الظاهرة على ملامحه، كما يبدو:

-هذا كل ما خرجت به من هذه الحياة. هي بنات أفكاري وفلذات كبدي."[3]

" لقد نشرنا له مؤخراً أعماله الكاملة، التي لاقت استحسانا كبيراً من أطراف عدة لكن هذا الاستحسان لم يترجم في رفع المقروئية وفي عدد النسخ المباعة للجمهور للأسف نحن أمة لا تقرأ...تعرف لو لا رعاية البلدية لمجموعة من الكتب والمخطوطات التي تناولت بونة، ولولا توزيعي الحصر لمنشورات دار بريطانية معروفة. لأعلنت عن إفلاسي."[4]

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 74- 75.

[2]- المصدر نفسه،ص 104- 105.

[3]- المصدر نفسه،ص 112.

[4] - المصدر نفسه،ص 113.

ويواصل كلامه عن أهم شعراء المدينة بقوله: " الرجل الذي أمامك هو من أهم شعراء المدينة، من لا يعرف **كمال دردور**؟ لكنه تعرض للإهمال والتهميش، ما أضطره لمقاطعة النشاطات والفعاليات الثقافية المحلية التي تنظمها الجهات الرسمية في المدينة من حي لأخر يشارك في ندوات ولقاءات ثقافية وفكرية في تونس، بحكم التقدير والاعتراف الذي لاقاه هناك.[1]"

ويتضح مما سبق أن المدينة فضاء حضري ومرتع لالتقاء والتحام العديد من الثقافات والأفكار المختلفة، يقصدها الأفراد لتنمية أفكارهم وتبادلها فيما بينهم، وتطوير قدراتهم العلمية والعملية.

2/المدينة وهوية الإنسان:

تعد مسألة الهوية من أبرز الموضوعات التي شغلت بال المفكرين والأدباء، والفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم، وهي تحتل المرتبة الأولى في شتى المجالات، فقد تعدّدت تعريفاتها إذ قيل:

" الهوية فيض متجدّد لا يمنعه ثبات نواته من إمكانية التفاعل مع الواقع المتغير. إنّ الهوية السردية ليست هوية ثابتة، وذلك لاتساعها شمولاً وفيضاً بفعل تجارب الذات اليومية، وبذلك تظل الهوية مشروعاً يطلب دوماً التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكنا ." [2]

ومعناه أنّ الهوية مُصطلح لا يعرف الاستكانة، بل هي متجددة تتصف بالاتساع والشمول.

وهناك من ذهب إلى القول بأنّ الهوية: " مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه وأن يتعرف الناس عليه أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنّه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها.[3]"

---

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي،ص 113.

[2]- مازية حاج علي: الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، إش: جمال مباركي، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه- LMD في الأدب العربي واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016م- 2017م، ص13.

[3]- شرقي رحيمة: الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، العدد الحادي عشر/جوان 2013م، ص 193.

ويعني هذا القول أنّ للهوية ملامح خاصة يمكن التعرف من خلالها على شخص ما من جميع الجوانب فهويته هي التي تعكس وجوده الدّائم.

تبرز مظاهر الهوية في الرواية عبر محطّات مختلفة، حيث أثرت المدينة على هوية الإنسان بالسلب والإيجاب من جميع الجوانب الاجتماعية منها والثقافية والسياسية، ولعلّ من أبرز الظواهر الاجتماعية الانحلال الخلقي وما يقابله غياب الوازع الديني بانتشار أفعال منافية للأخلاق كممارسة الدعارة التي انتشرت بكثرة في الدول الأوروبية مقارنة بالدول العربية ممّا أتاح للمهاجرين ممارستها دون أدنى اعتبار للمبادئ والقيم حيث يقول بطلُ الرواية:" أبي تركنا أنا وأمي واختار صديقته البلجيكية النصرانية، لذلك اضطرت أمي مغادرة بلجيكا والعودة إلى المغرب."[1]

وفي قوله أيضاً:" يومها ضحك خالي نبيل كما لم يضحك من قبل، وأشار لها أن تأخذني، صحبتني إلى غرفة، بينما تركت خالي مع الفتاتين، كان يرتدي الروب دوشومبر، ويستجيب لهما بحركات كسرت كل مسافة كانت بيني وبينه. لورمي بي من جرف هار لكان أفضل لي من هذا الموقف الذي وجدتني فيه. لما دخلنا الغرفة تمنّعت، وكابرت، لكن في النهاية وجدتني أرضخ وأرضخ..."[2]

كما انتشرت هذه الظاهرة غير الأخلاقية في المجتمع الذكوري من المهاجرين، لاقت انتشارا واسعاً كذلك بالنسبة للنساء المهاجرات ذوي الأصول العربية إذ يقول:" أخبرني عزيز أن المرأة التي خلفي هي صديقتي التي سأقضي معها الأمسية، كما كانت سعادتي غامرة لأنني انتبهت لها واقفة بقدها المعتدل وقوامها الرشيق ولباسها الفاتن.

– لمّا أدرت رأسي للخلف ونظرنا إلى بعضنا البعض، كانت صدمتي كبيرة، لو انفتحت الأرض وابتلعتني لكان أهون علي...المرأة التي خلفي هي والدة صديقي خالد، ليلة البارحة فقط كنت معه، إنه من أعز أصدقائي...هل يسوّغ لها موت زوجها قبل سنوات السقوط في الرّذيلة."[3]

[1]– بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 34.

[2]– المصدر نفسه،ص 35.

[3]– المصدر نفسه،ص 36.

كما استحضر الرّاوي ظاهرة الزواج من الأجانب في الرواية، وهذه الظاهرة تجسّدت من خلال زواج **جوادزهري** من **نور**، حيث يقول: " لما توطّدت علاقتي مع نور، أخبرتني أنها من أب روماني وأم جزائرية ."[1]

وهذا الزواج أدهش **جواد زهري**، وانتابه نوع من الجدل حوله بقوله: " لكن ما حيّرني أكثر، كيف التقت أم نور مع والدها الكسندرو كومانيسكو، وكيف كانت تتواصل معه، وكيف استمرت عشرتهما، وهو القادم من رومانيا بعقد عمل في جامعة منتوري بقسنطينة؟ ! لا يبدو لي تجانس بينهما، بالعكس هناك تفاوت طاغ فقد بدأ الأمر غريبا بالنسبة لي وغرابته تكمن في أن كل المعطيات تؤكد لي عدم توافقهما."[2]

كما عاش جواد مثل الظروف التي عاشتها زوجته **نور**، كونه من أب جزائري وأم فرنسية، بحيث واجه أزمة الانتساب في باريس من كلا الجانبين بسبب هذا الأمر: " ففي باريس لا أصدقائي الجزائريين يعتبرونني جزائريا صرفا بسبب أمي الفرنسية الأصل وما يتردد عن موقف أبي من الثورة التحريرية، ولا أصدقائي الفرنسيون يعتبرونني فرنسيا أصيلا بسبب عرق أبي الجزائري الأصل. غالبا ما كنت أجد نفسي أكثر قربا من أصدقائي من جنسيات عربية أو افريقية أو لاتينية."[3]

وفي سبيل أخذ الجنسية الأوروبية يعمد أغلب المهاجرين رجالا ونساء إلى زواج من أجل تسوية وضعهم هناك قصد المصلحة الشخصية، ومن أبرز ضحايا هذه الظاهرة في الرواية **عدنان عبد الاوي** المغربي الأصل البلجيكي الجنسية بقوله:" لما قررت أمي أن أتزوج تزوجت من الريف المغربي فتاة فقيرة معدمة أمية كي ترعاني وتصون كرامتي، لكن ما حدث أنها بعد ما أنجبت ابننا محمد، انتظرتني حتى أكملت لها كل الوثائق ولحظة حصولها على الوثائق البلجيكية تخلت عني وطلبت الطلاق."[4]

ولقد كان **عدنان عبد اللاوي** مستغلا من قبل امرأة مغربية، من أجل الحصول على وثائق رسمية وإدارية، يصح لها العيش بكرامة بدون قيود ومشاكل إذ يقول:" الرّافرة الأمية استغلتني واستغفلتني من أجل الوثائق فقط

---

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 12.

[2]- المصدر نفسه :ص 55.

[3]- المصدر نفسه :ص 15.

[4]- المصدر نفسه : ص 37.

[2]- المصدر نفسه :ص 37.

وهاهي كل شهر ترسل من منحة ابننا الأموال إلى والديها المعدمين في المغرب، الذين أعماهم الطمع ولا أحد نصحها، الأمر مخطط من قبل عن سبق الإصرار والترصد. الجميع مستفيد، وأضحيت أنا بينهم أكبر مغفل."[1]

يستحضر الروائي في روايته أحد مقومات الهوية وهي العادات والتقاليد ، لأنها جزء لا يتجزأ من مظاهر الهوية الثقافية، والرواية لا تخلو من هذا الأمر، حيث تحدث عن بعض العادات والتقاليد الموجودة في مدينة قسنطينة ومدينة عنابة بقوله:" بينما أنا جالس أرتشف من كوب الشاي في مقهى يديره شاب مغربي من طنجة، اسمه عبد المولى فبين الفينة والأخرى، كنت أقصد هذا المقهى لجودة الشاي المعشب الذي يقدمه، مرفقا بخبز الدار الساخن، وزيت الزيتون الجبلي، والجبن العربي اللذيذ، وحبات زيتون، وعصير البرتقال الطبيعي وعلبة ياغورت."[2]

وفي قوله أيضا:" ولم أقم بأي فعل، سوى صب الشاي من الإبريق النحاسي الذي أمامي، بارتشافه على مهل."[3]

وفي ذكره لعادات وتقاليد مازالت راسخة ومتوارثة في مدينة قسنطينة يقول :" نصبت أم نور صينية، دائرية فوق مائدة خشبية وضعتها أمامي، ثم أحضرت إبريق حليب وآخر فيه قهوة، ومجموعة من الصحون الصغيرة الحجم فيها حبات من الكعك والحلويات التقليدية.ولما رأتني نور أقلب عيني ذات اليمين وذات الشمال، أخبرتني بأنّ هناك صحن " المقروض"، وصحن " البقلاوة"، وصحن " القطايف"، و صحن " الغراييية "، وصحن " قرن الغزال"، وأن كل ما أراه هو من صنع يد أمها بمناسبة العيد الصغير الذي مر مؤخرا فقط".[4]

وفي موقف آخر يواصل الراوي وصف الأطباق والأمكنة التي تشتهر بها مدينة قسنطينة وذلك من خلال قوله:" ففي أسفاري وتنقلاتي المختلفة كنت دوما ما أبحث خلف الروائح الشهية، عن اكتشاف الأطعمة والمأكولات الشعبية، التي تعكس ثقافة المكان.

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 32.

[2]- المصدر نفسه،ص 33.

[3]- المصدر نفسه،ص 57.

الأمكنة في نظري، بناسها وروائحها وعطورها وعاداتها عدا ذلك تفقد الأمكنة رمزيتها وفرادتها ووجودها ككل، ولا يمكن حينها استعادة تفاصيلها وملمة صورها."[1]

ويكمل حديثه في وصف الأطباق بقوله:" كما يتصالح أنفك مع روائح الحلويات والأطباق التقليدية،" كقلب اللّوز" و" التريدة" وغيرهما. روائح الأطعمة المنبعثة من هنا وهناك، ولسعات البرد القاصمة التي تصفق الوجوه، تحرّك نواقيسْ الجوع في أمعائي الخاوية."[2]

وفي مدينة عنابة يتحدث الروائي على عاداتها وتقاليدها بقوله: " على فكرة المطعم يقدم وجبات تقليدية رائعة كالشخشوخة، والبوراك العنابي، والمحجوبة، والحمص بزيت الزيتون وغيرها من الوجبات."[3]

كما وظف الروائي في روايته: (خرافة الرجل القوي) مجموعة من المعالم الأثرية التي تزخر بها المدن، بكونها جزء من هويات الشعوب، وذلك من خلال حديثه عن مدينة قسنطينة بقوله: " أعتقد أن في قسنطينة شيئا من الإبداع والكثير من الجنون فأن تفكر في تشييد مدينة فوق الصخر، فإما أن تكون مبدعا عظيما أو مجنونا كبيرا. تربط الجسور المعلقة بين ضفاف الصخور العاشقة أسفل الجسور فراغ مهول وواد سحيق يسمى واد الرمال...دروب المدينة ضيقة وأحياؤها عنيفة والجمال موزع فيها بسخاء" [4] .

ويواصل الراوي في وصف الممرات والمحلات التي تزخر بها مدينة " قسنطينة" المعروفة بالجسور المعلقة بقوله:" مررنا على رحبة الجمال، والسويقة، ورحبة الصوف، وعلى أماكن متفرقة لا أتذكرها كلها، توقفنا أكثر من مرة لالتقاط الصور، ولأكل قلب اللوز...أخذتني **نور** إلى جسر سيدي راشد، وإلى قنطرة الحبال المهيبة، التي تتراقص بجنون يمينا وشمالا في الفراغ.عبرنا جسوراً وأزقة ودروبا متنوعة اختلطت فيها رائحة الأطعمة برائحة التاريخ...في أزقة ودروب الأحياء العتيقة تتزاحم البضائع المقلدة مع المنتجات التقليدية الأصلية. بعض المحلات الضيقة الموزعة هنا وهناك، يزاول أصحابها حرفتي النقش على النحاس وصياغة الذهب. الحرف هنا تقاوم كالبشر، من أجل الحياة والوجود، وتتحدى كذلك من أجل البقاء والاستمرار."[5]

---

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 78.

[2]- المصدر نفسه،ص 49.

[3]- المصدر نفسه،ص 117.

[4]- المصدر نفسه،ص 47.

[5]- المصدر نفسه،ص 49.

وفي موقف آخر يتحدث الراوي عن مدينة عنابة والصورة التي تتخذها في الرواية بقوله: " في الخارج تطل كنيسة القديس أوغسطين من ربوتها العالية، بكل رهبة وفتنة، في إشارة إلى أن المدينة متسامحة على الآخر ومتصالحة مع ذاتها. في مدخل المدينة يربض مقام العالم و الولي الصالح إبراهيم بن التومي، المكان الذي كان من أهم ثغور المقاومة والدفاع عن المدينة من هجمات الأعداء"[1].

وأشار الرّوائي في روايته (خرافة الرجل القوي) إلى مسألة تزييف التاريخ، وذلك استنادا للحادثة التي ذكرها والتي تعود جذورها إلى الثورة التحريرية حيث تركت نوعاً من الاستغراب والحيرة، وذلك في قوله:" تتزاحم مجددا في ذهني المشوش الصور والمشاهد، الظلام يلف المكان، القمر في تلك الليلة الظلماء توارى عن الظهور الطرق على الباب لم يتوقف، الطفل الذي كأنه أبي يفتح الباب تفاجأ برجال مدججين بالأسلحة يطلبون منه أن ينادي على أبيه، جدي الحاج بلباي زهري."[2]

ويكمل الراوي حديثه عن تفاصيل قصة جده بقوله:" أدخلهم جدي إلى دار الضياف، ثم اتجه إلى السّدة لجلب صرّة المال، وطلب من جدّتي تركية بن قانة تحضير العشاء، أرى صورها وهي تسابق الزمن بين الطبخ في القذر وبين طهي خبز الكسرة على طاجين الطين منهم جدي مبلغ الاشتراك غير منقوص، وأحضر لهم صينية الطعام، طلبوا من جدي الخروج للحراسة، وانهمكوا في الأكل بشراهة...

كان أبي مذعورا ليلتها، وهو يراهم يدخلون إلى حوش الدار وجدي ليس معهم، أدخلوا أبي وإخوته وأخواته إلى غرفة وأغلقوا عليهم الباب، وبقي أربعة منهم معهم يحرسونهم، والخامس بقي خارج الغرفة. كان أبي يتفرس فيهم ويحدث نفسه، " إنهم مثلنا ملامحهم عربية، ويتكلمون بالعربية، لو كانوا فرنسيين لآتوا نهاراً، لقد اعتدنا مضايقات الجنود الفرنسيين في النهار، واليوم نتعرض لمضايقات أخرى ليلا، ومن يبني جلدتنا" ".[3]

ويكمل الروائي حديثه في رسم صور صادمة عن بعض المجاهدين في الثورة والتجاوزات التي عمد إليها الجنود وذلك في قوله:" بعد لحظات سمع أبي صرخة مدوية من أمه، صرخة قهر وخذلان، صرخة مزقت حشاه

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 95.

[2]- المصدر نفسه، ص 16.

[3]- المصدر نفسه، ص 16-17.

الصغير...في حين كانت أمه تركية في غرفتها وقندورتها ممزقة من الأعلى، وشعرها غير منسق ونواحها يخترق القلوب كخنجر صدئ."[1]

ويواصل الكاتب بومدين بلكبير في رسم صورة هؤلاء الثوار في حديثه: " لما عرف أبي فيما بعد هوية هؤلاء الرجال، زاد حقده أكثر. وأصبح ينفر ويشتد حنقه من كل شيء يرمز للثورة والكفاح ضد المستعمر، وكان يمتعض ويهيج ساخطا كلما سمع كلمة ثوار أحرار ومجاهدين أطهار."[2]

ويضيف الراوي كذلك في استرجاعه لماضي عائلته وذلك من خلال قوله:" ماضي عائلة والدي التي لم يسبق لي وأن التقيت بأحد من أفرادها، وما أعرفه عن هذا الماضي وصلني من حكايات أبي، عن أناس لم ألتق بهم، وعن أرض لم تطأها قدماي. ماضي العار والخزي الذي لطّخ شرف العائلة وأهان كرامتها . فتح أمامي كل أبواب الوجع الموصدة...كل تلك الصور أصبحت حاضرة أمامي، الآن."[3]

نستنتج مما سبق أن علاقة الإنسان بالهوية علاقة دائمة وتفاعلية، تؤثر فيه مع مرور الوقت، فهي ليست ثابتة بل قابلة للتغير تتسم بمجموعة من السمات والصفات التي تحدد هوية الفرد وتميزه عن الآخرين من جميع جوانبه السياسية والثقافية وكذا الاجتماعية، قد يكون للإنسان هويات متعددة، وذلك من خلال تفاعلاته مع المدن الأخرى والمجتمع الذي ينشأ فيه.

3/المدينة ووعي الإنسان:

الوعي هو إدراك الإنسان لذاته والمحيط الذي يعيش فيه، إذ يعدّ جوهره وملكته الخاصة التي تميزه عن سائر المخلوقات الحية، وقد أُستعملت هذه الكلمة من طرف الكثير من المفكرين وغيرهم، فكان لها صدى عبر العصور، كما ورد الوعي بمعناه الجمع في القرآن الكريم لقوله تعالى:" وجمع فأوعى" سورة المعارج [الآية 18].

يعرّف أنطونيو داماسيو في كتابه (الشعور بما يحدث) الوعي بأنه:" هو المفتاح لحياة امْتُحنت، في مختلف الأحوال والظروف، معرفتنا بشأن الجوع، والعطش، والجنس، والدموع، والضحك، والرفس، واللكم، وتدفّق الصور الذي ندعوه تفكيرا، والمشاعر، والكلمات، والقصص، والاعتقادات، والموسيقى والشعر، والسعادة والنشوة. ففي

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص17.

[2]- المصدر نفسه، ص 17.

[3]- المصدر نفسه، ص41.

مستواه الأبسط والأكثر أساسيةً، يدعنا الوعي نميز دافعاً لا يقاوم للبقاء أحياء وتطوير قلقٍ للذات. وفي مستواه الأعقد والأدق، يساعدنا الوعي على تطوير قلق للنفوس الأخرى، وتحسين فن الحياة"[1].

وفي تعريف آخر له:" هو ظاهرة ذاتية خاصة بالكامل تحدث كجزء من عملية ذاتية خاصة ندعوها العقل. وبالرغم من ذلك، فإن الوعي والعقل يرتبطان بشكل وثيق بسلوك خارجي يمكن أن يلاحظ بواسطة أشخاص آخرين. نحن جميعا نشترك في هذه الظواهر."[2]

بمعنى أن الوعي مرآة عاكسة لما يختلج ذات الإنسان وما يتناسب مع حياته الفكرية والثقافية.

كما يعرف علماء النفس كذلك الوعي بأنه:" شعور الكائن الحي بنفسه، وما يحيط به" ومع تقدم العلم، وتعقد المصطلحات والمفاهيم أخذ مدلول (الوعي) ينحو نحو العمق والتفرع والتوسع، ليدخل العديد من المجالات النفسية والاجتماعية والفكرية."[3]

بمعنى أن الوعي يكمن في جوهر الإنسان، وأصبح يحمل معاني عدة من حيث الاستخدام.

كما يعني الوعي عند علماء النفس:" مجموع ما يتحصل من الشعور والإدراك والنزوع؛ لكننا في الكتابات الثقافية العامة، قد تطلق كلمة (وعي) على ما تدل عليه كلمة (الإدراك) أو كلمة (الشعور) منفردتين"[4].

ويعني هذا القول أن الوعي من الناحية النفسية يكون مرادف لكلمة إدراك أو شعور.

يظهر تأثير المدينة على وعي الإنسان في رواية (خرافة الرجل القوي) **لبومدين بلكبير**، في العديد من المجالات والمواقف المترتبة عن كيان الإنسان، فمنذ القدم كانت المجتمعات العربية ضد تعلم المرأة وخروجها للعمل لكن سرعان ما تغير الوضع في وقتنا الراهن وأصبح مباحاً ولا سيما في الشعوب المتطورة وهذا ما أشار إليه الراوي

[1]- أنطونيو داماسيو: الشعور بما يحدث، (دور الجسد والعاطفة في صنع الوعي)، تر: رفيف كامل غدّار، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، 1431هـ- 2010م، ص 13.

[2]- أنطونيو داماسيو: الشعور بما يحدث، (دور الجسد والعاطفة في صنع الوعي)، ص 20.

[3]- عبد الكريم بكار: تجديد الوعي، ط1، دار القلم دمشق، دار الشامية بيروت، 1441هـ، 2000م، ص 09.

[4]- المرجع نفسه: ص 10.

في حديثه عن أم نور المرأة الجزائرية التي تزوجت من رجل روماني الجنسية مثقف قدم لأجل العمل: " المرأة بسيطة جداً وطيبة كذلك، ومن خلال حديثها المقتضب معي، لا أظن أنها واصلت دراستها."[1]

ويواصل حديثه قائلاً:" ففي زمنها كانت البنت تنقطع من مواصلة تعليمها في مراحل مبكرة جداً، لأن مكانها الطبيعي بيتها ورعاية زوجها وأبناءها فوقت داك كانت كل فتاة في سن مبكرة تبدأ في تخيل صورة وشكل عريسها، وفتى أحلامها...لكن ما حيرني أكثر، كيف التقت أم نور مع والدها الكسندر وكومانيسكو وكيف كانت تتواصل معه، وكيف استمرت عشرتهما وهو القادم من رومانيا بعقد عمل في جامعة منتوري بقسنطينة؟! لا يبدو لي أي تجانس بينهما، بالعكس هناك تفاوت طاغ."[2]

وفي موضوع آخر أشار الروائي لمعاناة نور والمضايقات التي تلقتها من قبل خالها بسبب دخولها الجامعة وإكمال دراستها، وذلك في قوله:" لم تصمد نور بدورها، فبعد سنوات من مغادرة والدها اضطرت للحاق به، قبل حتى أن تكمل دراستها الجامعية. أخبرتني أنها سافرت إلى رومانيا قبل نهاية العام الدراسي الثالث لها في كلية العلوم بقسنطينة، بسبب المضايقات التي تضاعفت بعد دخولها الجامعة فقد باتت مخنوقة من تسلط ومضايقات خالها بلقاسم بولقدام"[3].

خلاصة القول فإنّ المدينة تؤثر على وعي الإنسان بشتى الطرق، وذلك بفعل مجموعة من المحرضات التي تؤدي إلى حدوث تفاعل مباشر وغير مباشر بينهما، ممّا يتيح للإنسان فرص أكبر للتعلم وتطوير الذات في مختلف الأصعدة، فالتنوع الثقافي والبشري له تأثير واضح في تطوير وتعزيز وعي الإنسان بالمحيط الذي يعيش فيه.

V/الإنسان وأنسنة المدينة:

تعدّ الأنسنة ظاهرة أدبية مرتبطة بالإنسان أشدّ الارتباط، إذ تمتد جذورها في كل فضاء قابل للأسنة وما هو بإنساني، حيث عمد الكُتّاب إلى توظيفها في كتاباتهم الروائية بُغية إحساس القارئ بمدى جمالها الإيحائي والدلالي، والبصمة التي تضفيها في تشكيل السرد الروائي.

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 55.

[2]- المصدر نفسه، ص 55.

[3]- المصدر نفسه، ص 13.

مصطلح الأنسنة واسع جامع غير مقيد بالنسبة لمفهوم الإنسان، حيث تعد الأنسنة:" من أروع القيم الجمالية في الفن، لأنها رؤية فنية فائقة لا تخضع للمقاييس المنطقية ولا تشابه الأحداث الواقعية، يضفي فيها الفنان صفات إنسانية محدّدة على الأمكنة، والحيوانات، والطيور، وأشياء، وظواهر الطبيعية حين يشكلها تشكيلا إنسانياً، ويجعلها كأي إنسان يتحرك وتُحس، وتعبر، وتتعاطف، وتقسو حسب الموقف الذي أنسنت من أجله" .[1]

ومعناه أنّ الأنسنة بغضّ النظر على أنها ظاهرة، يمكن اعتبارها بأنها فن متأصل ذو طابع جمالي فنّي، له أبعاد حسية بحسب الموقف الذي يقتضيه.

ورد تعريف آخر لمفهوم الأنسنة على أنّها:" ثمرة عصر التنوير والانقلاب على الرؤية الاهوتية للعالم والإنسان، أي هي ثمرة رؤية دنيوية ومحصلة فلسفية علمانية، دهرية، بهذا المعنى فإنّ" الأنسنة" هي الوجه الآخر للعلمنة"[2].

ويعني ذلك أنّ الأنسنة يتعدّى مفهومها إلى ما وراء الطبيعة.

الرواية من الأجناس الأدبية الأكثر استعمالا لظاهرة الأنسنة، إذ تتخذ بهذا المفهوم شكلا جديداً للكتابة، ويتجسد ذلك من خلال إعطاء وصف للأشياء التي تعكس ما يختلج داخل الإنسان، وهذا ما يُضفي لمسة جمالية بالتحام البعد الحسي والشعوري لديه مع الطبيعة، لتوطيد العلاقات بينهما بفعل الزمان والمكان:" والفنان يؤنسن تجليات العالم الخارجي، ويدخلها إلى عمله الفني، ويدعها تقوم بدورها الإنساني الجديد، لتسهم في خلق المناخ العام الذي يطمح أن يحققه، وليجعلها تتجاوز مع الإنسان ومشاعره وأفكاره، كي تشاركه المعاناة والقهر والفرح في الحياة، وتجيء هذه المجاورة نتيجة لحاجة ذاتية وفنية، تسعى إلى تفسير الأحداث تفسيرا داخليا متميزا، وتصوير الحياة تصويراً خلاقا برؤية جديدة تتسم بالشمولية والإنسانية المطلقة."[3]

يأخذ المكان تعريفات عدة، حيث عرّفه **غاستون باشلار** في حديثه عن علاقة المكان بالإنسان بقوله:" إنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد

[1]– مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية–جمهورية مصر العربية، 2003م، ص 07.

[2]– ندى بنت حمزة بن عبده خياط: مصطلح " الأنسنة " وتجلياته في الفكر المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م 28، ع6، 2020م، ص 107.

[3]– مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص 8.

عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيّز. إننا ننجذب نحْوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية. في مجال الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية ."[1]

يحضر المكان بصفة غالية في معظم الأعمال الروائية، لماله من أهمية كبيرة في بناء السرد الروائي وإيصال الأحداث إلى القارئ بأدق تفاصيلها، حتى ينتج عمل روائي متكامل، فالإنسان بتفاعله مع العالم الخارجي الذي يعيش فيه، يدخل في محاورات مع هذا العالم في حدود المعقول واللاّمعقول.

يتوزع المكان (المدينة) في رواية (خرافة الرجل القوي) بكثافة في صفحات الرواية، حيث ذكر الراوي مجموعة من الأمكنة التي كان لها دلالات إيحائية باعتبارها قابلة للاحتواء، أي أنّها مرتبطة بكافة بنيات السرد الأخرى ومرتع لسير الأحداث في الرواية.

تنقسم الأمكنة في الرواية إلى نوعين أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة. فالأماكن المفتوحة لها أهمية كبيرة وبالغة، إذ تمثل مكانا للقاء العديد من الأشخاص داخل حيز مكاني محدد ذات مساحة واسعة وتعرف بأنها " الأماكن ذات الاتساع والامتداد الشاسع اللامتناهي، من الناحية الجغرافية فتوحي بالمجهول لكونها فضاء رحبا وحيزا مكانيا خارجيا لا تحدّها لحدود معينة."[2]

1/الأماكن المفتوحة:

ومن بين الأماكن المفتوحة الواردة في الرواية نذكر :

أ/ المقهى: يعد المقهى مكانا مفتوحا لاستقطاب اللقاءات بين الأشخاص ويعرّف على أنه" إطار الحدث الحكائي ومجال لتحرك الشخصيات في لحظة معينة من العمل الروائي"[3]

وقد ذكر الكاتب في الرواية مقهى النجمة الذي كان مقر وموطن لالتقاء السياسيين والكتاب قصد تبادل أطراف الحديث حول الجديد عن القضايا والمشكلات السياسية، وذلك في قوله:" المقهى مرّ به كبار الكتاب

[1]- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان: 1404 هـ / 1984م، ص 31.

[2]- عمر شطة: أنسنة المكان في رواية ذاكرة الماء(لواسيني الأعرج)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م10، ع4، 2021م، ص 18.

[3]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن ، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1990م، ص 93.

والسياسيين؛ كالأديب أحمد رضا حوحو، والشيخ بن باديس، والمفكر مالك بن نبي، والرئيس هواري بومدين، والقائد محمد بوضياف، والمناضل الثوري رابح بيطاط."[1] وعليه كان مقهى النجمة عنصراً فعالاً في سير الأحداث.

كما كان المقهى مكاناً لسماع أنغام المألوف لأهم شيوخ الموسيقى الأندلسية، وهذا ما ورد في المقطع التالي:" أرتشف قهوتي على أنغام المألوف، للقهوة هنا مذاق آخر، مذاق بطعم التاريخ، التي تحكيه الجسور والأحياء القديمة."[2]

ووظف الكاتب المقهى كذلك مقصدا لالتقاء **جواد** بطل الرواية بصديقه **حميدو** الذي لم يُسبق له وأن التقى به من قبل، بل عرفه من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بالصوت والصورة، وذلك في قوله:" أنظر يمينا وشمالاً علي أعثر على مقهى بن رابح، ولمّا أرشدني إليه أحد المارة، بدأت أقلب بصري من جديد ذات اليمين وذات الشمال...من وسط الجلوس لمحت يدا تلوح لي، أظنه حميدو لأنه لم يسبق لنا وأن التقينا مباشرة، كانت معرفتي به من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وكنت معجبا بما ينشره وبأنشطته ومواقفه وثقافته.

فكنا كثيرا ما نتحادث بالكتابة، وبالصوت والصورة في بعض الأحيان."[3]

ب/الحدائق: من الأماكن العامة والجميلة والمريحة للاسترخاء، والتقاء الأحباب ولأصدقاء للاستمتاع بالطبيعة والهواء الطلق وكذا الترفيه عن النفس، وقد حضرت الحديقة في الرواية من خلال الكشف عن تفاصيل العثور على جثة **سليم زهري** وذلك في قول الراوي:" بعد اتصال عجوز أخبرنا أنه كان يتجول هو وكلبه في الصباح الباكر قبل شروق الشمس بحديقة عمومية، وفجأة تصلّب كلبه وبدأ يحذق صوب مجموعة من الشجيرات، ولم يتوقف عن النباح، توجه العجوز إلى ذلك المكان فكانت صدمته غير متوقعة باكتشاف جثة حديثة."[4]

ج/ الشوارع: هي عبارة عن ممرات عامة تسمح بحركة السيارات والمشاة من مكان إلى آخر، إذ تختلف حسب الطبيعة والأحجام وكذلك المنطقة والغرض منها، وتعد جزءً أساسياً من نظام النقل العام.

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 62.

[2]- المصدر نفسه،ص 62.

[3]- المصدر نفسه،ص 96.

[4]- المصدر نفسه، ص 28.

وظف الكاتب **بومدين بلكبير** الشوارع في رواية (خرافة الرجل القوي) مكانا لاستقطاب المهاجرين عن جنسيات مختلفة قصد الترويج للمخدرات، ونجد ذلك في قوله:" فكلما كنت أقطع شوارع مدينة شارلوروا بسيارتي راجلا، إلا ولمحت بعض الشبان والأفارقة العرب من جنسيات أخرى موزعين على جنبات الطرق، أو يقفون في زوايا البنايات، يعرضون بضاعتهم من الكوكايين والهروين دون أن يتعرض لهم أحد."[1]

ومن زاوية أخرى استعمل الراوي كلمة شوارع عندما كان جواد ونور يتجولون في وسط قسنطينة، فأبدى استياءه واستفزازه من نظرة الناس لهما، لأن المكان محرم على النساء بحكم العرف، فراح يقارنها بشوارع أمستردام التي تغزوها نساء عاريات بدل البضائع وذلك في قوله: " لم أعتد على هكذا سلوك، حتى في أشد شوارع أمستردام نزقا وجنوبا، لم أستغرب أول مرة أجدني على طريق الصدفة وسط شارع كل واجهات محلاته بدلا من البضائع نساء من جنسيات مختلفة، لا يكدن يغطين أجسادهن...الأمر استفزني، وبلغ بي الغضب مبلغا كبيرا، إلى درجة أني كدت أن أصرخ في وجوههم البائسة"[2] .

ويواصل الراوي في وصف شوارع مدينة قسنطينة بقوله:" بعد جولة بالسيارة في أهم شوارع وأحياء المدينة.أقف ألآن في طريق الكورنيش.قسنطينة لا بحر لها، كورنيشها تحتضنه الصخور العتيقة والكهوف"[3].

وتماشيا مع ما تم ذكره يضيف الراوي قائلا: " أحب التسكع ليلا في شوارع المدينة، بعد أن تفرغ من ضجيج السيارات وضوضاء البشر، يسلبني هدوؤها وبهاؤها."[4]

ينتقل السارد كذلك إلى الحديث عن شوارع مدينة عنابة، التي شهدت تغيير في العديد من أسماءها بقوله: " في الخارج أوقفت سيارة أجرة كي تقلني إلى ساحة الكور أو ساحة الثورة ، كما أطلق عليها فيما بعد. فبعد الاستقلال كما علمت تم تغيير أسماء الكثير من الأحياء والشوارع والعوالم، لكن أغلب الناس فضلوا الاحتفاظ بالمسميات القديمة. ولم يستسيغوا تلك التسميات الجديدة."[5]

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 09.

[2]- المصدر نفسه،ص 50.

[3]- المصدر نفسه،ص 50.

[4]- المصدر نفسه،ص 63.

[5]- المصدر نفسه، ص 96.

د/ الجسور : هي عبارة عن هياكل هندسية تستخدم للربط بين أماكن مختلفة، بحيث تسهم في تسهيل حركة المرور والوصول إلى الجزر والمناطق المنعزلة، وقد وردت هذه الأخيرة بكثرة في مدينة قسنطينة إذ يقول الراوي: " أعتقد أن في قسنطينة شيئا من الإبداع والكثير من الجنون، فأن تفكر في تشييد مدينة فوق الصخر، فإما أن تكون مبدعا عظيما أو مجنونا كبيراً "[1]. ويقول كذلك :" تربط الجسور المعلقة بين ضفاف الصخور العاشقة. أسفل تلك الجسور فراغ مهول وواد سحيق يسمى واد الرمال. الصخور والجسور تغري العشاق والمنتحرين على المغامرة"[2]

الجسور في الرواية تحمل دلالة رمزية معبّرة عماّ يختلج نفسية الشخصية داخل العمل الروائي، فالجسر هنا يرمز في الرواية إلى الانتحار ، فهو مكان يشهد على انتحار مجموعة من الشخصيات إذ يقول : " أتذكر تماما الشاعر فاروق أسميرة الذي انتحر من جسر سيدي مسيد عام 1994م كما أنني لا أقوى على مجرد التفكير في الشاعرة الفرانكفونية والصحفية البارزة صافية كتو، التي اختارت جسر تيليملي بوسط العاصمة ذات شتاء من عام 1989م"[3] .

وفي موضوع آخر يواصل الراوي حديثه عن ظاهرة الانتحار بقوله:" كتب صالح قبل رحيله رواية اختار لها عنوان " الانتحار"، لم يكملها، ولم يُكتب لها الطبع لكنه في سنة1989م اختار نهاية أخرى لروايته تلك، أكملها بصورة تراجيدية موجعة، حيث رمى بجسده من جسر سيدي راشد."[4]

هـ/المحطة: هي عبارة عن مكان يتوجه صوبه الناس الاستقالة القطار والسفر إلى أماكن مختلفة ووردت المحطة في رواية (خرافة الرجل القوي) في قوله :" في المحطة أشار لهم إيرن بالنزول، ما أن انفتحت الأبواب حتى همّ الثلاثة بالخروج."[5]

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي ،ص 47.
[2]- المصدر نفسه،ص 47.
[3]- المصدر نفسه،ص 74.
[4]- المصدر نفسه، ص 74.
[5]- المصدر نفسه،ص 30.

وفي موقف آخر يتحدث الراوي عن محطة أخرى بقوله:" نزلت في محطة السيارات ما بين الولايات، وجدتها تعج بأصحاب السيارات الواقفين بطريقة فوضوية وغير منظمة أمام سياراتهم، لا يتوقفون عند الضجيج، والصراخ على بعضهم، والمنادات على المسافرين للركوب معهم."[1]

و/المدن: شغل فضاء المدينة حيزا كبيرا داخل السرد الروائي، فهي مكان يجتمع فيه الناس، ويختارونه بغية تحقيق متطلباتهم ومنافعهم في الحياة، فالمدينة في رواية (خرافة الرجل القوي) لها دلالات اجتماعية وسياسية وثقافية، وقد تنوعت وانقسمت إلى فضاءات منفتحة، وأخرى مغلقة من جهة، وبين واقعية ومتخيلة من جهة أخرى.

ومن أبرز الأماكن التي صبّ اهتمام الكاتب عليها نذكر:

و1/ مدينة باريس: وقد وردت في الرواية معبّرة عن مشاعر الاشتياق والحنين إلى الوطن تارة، وعلى الاغتراب والطّموح في الاستقرار تارة أخرى، فهي بالنسبة لبعض المهاجرين المنجى والملجأ لهم في تغيير حياتهم للأفضل أمّا البعض الآخر منهم فهي بالنسبة لهم مجرّد مدينة للهروب من واقعهم المرير الذي يعيشونه في الوطن الأم:

" فهؤلاء المهاجرون نمنحهم الحرية والحقوق التي لا يحلمون بها في بلدانهم البائسة"[2]

ومن زاوية أخرى يقول:" فكلما كنت أقطع شوارع مدينة شارلوروا بسيارتي أو راجلاً، إلاّ ولمحت بعض الشبان الأفارقة والعرب، ومن جنسيات أخرى موزعين على جنبات الطرق."[3]

و2/ مدينة قسنطينة: ويطلق عليها اسم الجسور المعلقة، ما جعلها ترتدي ثوب الفرادة والتميز عن سائر مدن الشرق الجزائري، وقد حضرت المدينة في رواية (خرافة الرجل القوي) بقوة، إذ تعدّ القسم الثاني لسير أحداث الرواية، أمّا جواد فهيّ بالنسبة له تمثل الوطن الأم، وطن أجداده أين ولد وتربّى والده، الذي ذهب متجها نحوها للبحث عن جذوره وهويته الأصلية، يقول الراوي:

" حجزت لنا تذكرين نحو قسنطينة في رحلة بعد الغد، يجب أن ترى عائلتك، أن تتعرف على أهلك، أن تعرف هوية تلك الجثة، من غير المعقول أن تظل هكذا كغصن مقطوع من شجرة."[4]

---

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي ،ص 96.

[2]- المصدر نفسه،ص 26.

[3]- المصدر نفسه،ص 9.

[4]- المصدر نفسه،ص 43.

وفي موضوع آخر يفصح لنا الراوي عن التقليل من شأن المثقفين وتهميشهم، وعدم الإجادة بما يقدمونه من مؤلفات، دون أدنى اعتبار لملكتهم الفكرية والأدبية:" هكذا ترمي الأوطان بأبنائها البررة في جرف هار، إلى الجحيم".[1]

ومن جهة أخرى يقول:" المثقفون والشعراء هم روح المجتمع ونبضه، هم أصوات الشعوب المقهورة، متى صودرت الحريات وصودرت الآراء، متى توقف النبض الحي. الأسباب ذاتها تدفعهم للمصير ذاته."[2]

و3/مدينة عنابة : وتعرف بجوهرة الشرق الجزائري لجمالها الساحلي، وهي مدينة الفنون والمعالم التاريخية، بلد الثقافة واللباس التقليدي، شأنها شأن مدينة " قسنطينة" في ذلك، وقد وردت في رواية (خرافة الرجل القوي)متصالحة مع ذاتها، ومتسامحة مع الآخر، وذلك في قول الراوي:" في الخارج تطل كنيسة القديس، أوغسطين من ربوتها العالية، بكل رهبة وفتنة، في إشارة إلى أن المدينة متسامحة على الآخر ومتصالحة مع ذاتها ."[3]

كما صوّرها لنا الراوي فضاءً لحل لغز جريمة مقتل **سليم زهري** والوصول إلى هويته الحقيقية في كونه أخو بطل الرواية **جواد** حيث يقول:"كياني المهدود من شدة الصدمات المتتابعة الواحدة تلو الأخرى، ينبعث من تحت رماد كل هذا الشقاء الذي وقفت عليه منذ دخلت هذا البلد، ها أن أستعيدني وأقبض على ما يربطني بهذه الأرض".[4]

2/الأماكن المغلقة:

ويقابل وجود الأماكن المفتوحة في الرواية وجود الأماكن المغلقة التي لها أهمية كبيرة في سير الأحداث وتحرك الشخصيات وفق ما يقتضيه المقام، وتُعرّف على أنها:" المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان ويبقى فيه فترات من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي،ص 72.
[2]- المصدر نفسه،ص 74.
[3]- المصدر نفسه،ص 95.
[4]- المصدر نفسه،ص 143.

المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، لذلك قد يكشف عن الألفة والأمان وقد يكون مصدر للخوف والذعر."[1] ومن بين الأماكن المغلقة التي وظفها الروائي في روايته ما يلي:

أ/ البيت: يعد المسكن والمأوى للإنسان، يدل تارة على الراحة والطمأنينة وتارة أخرى يدل على الشقاء والتعاسة إذ يعرّف **غاستون باشلار** البيت بأنه:" واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية...فبدون البيت يصبح الإنسان كائناً مفتتا"[2]

ورد البيت في رواية (خرافة الرجل القوي) في عدة صور من بينها وروده في صورة الطمأنينة والراحة والهدوء وذلك من خلال قول الروائي:

"كان البيت هادئا جدا، إلى درجة أنني أحسست بالملل."[3]

وفي موقف آخر يبرز لنا البيت في صورة رذيئة منافية للأخلاق إذ يقول:" لكن بعد غلق بيوت الدعارة تلك، بقي هذا العرف سائدا، والمكان مقصداً للرجال فقط، محرما على النساء."[4]

وفي صورة أخرى يظهر لنا البيت في حلة عادية بسيطة، يقول الروائي: " وصلنا إلى بيت أرضي أمامه رصيف وشجرة برتقال."[5]

ب/الغرفة: وهي جزء من البيت يلجأ إليها الإنسان للنّوم والراحة والإنفراد بنفسه. والفرقة ذات مساحة محدودة ومغلقة.

وردت الغرفة في الرواية بمثابة معزل عن العالم الخارجي شبيهة بالسجن تماماً، فلم يصوّرها الراوي كمكان للنوم والراحة والطمأنينة ويتضح ذلك من خلال قول السارد:" أدخلوا أبي وإخوته وأخواته إلى غرفة وأغلقوا عليهم الباب."[6]

---

[1]- عمر شطة: أنسنة المكان في رواية (ذاكرة الماء لواسيني الأعرج)، ص 22.

[2]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ص 38.

[3]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 57.

[4]- المصدر نفسه، ص 51.

[5]- المصدر نفسه، ص 135.

[6]- المصدر نفسه، ص 17.

ج/ المسجد: هو مكان مخصص لأداء العبادة والتقرب من الله سبحانه وتعالى ومكانا مقدسا يجتمع فيه المسلمون للصلاة والدعاء، فيظهر لنا المسجد في الرواية كمكان لأداء الصلاة يقول الراوي: " كان يقف معهم بعد كل صلاة خارج المسجد للحديث والنقاش، وذات خميس أقتلع من مسجد الفرقان أثناء تأديته صلاة الفجر."[1]

د/ السجن:هو مكان إجباري يسلب الإنسان حريته، تحكمه مجموعة من القوانين تفرض على كل من يدخله الخضوع إليها دون اعتراض إذ يعرفه **حسن بحراوي** بأنّه : " نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات وإثقال لكاهله بالإلزامات والمحضورات."[2]

وظف الكاتب **بومدين بلكبير** السجن في روايته دلالة على قانون العقاب لكل مجرم تعدّى حدود العدالة والقانون، فكل ساق يسقى بما سقى وذلك في قوله:" سجن أكثر من مرة في قضايا أخلاقية متعددة، لا علاقة لها نشاطه المشبوه، كضبطه في شقة دعارة في عمارة في حي سكني بالبوني، وتورطه في استغلال قاصر فرت من بيت والديها."[3]

هـ/المستشفى: المكان الذي يتوجه إليه المريض لتلقي العلاج، فهو يوفر العناية الصحية لعامة الناس إذ لا يمكن الاستغناء عنه.

يتجلّى المستشفى في رواية (خرافة الرجل القوي) في ذكر السارد لحادثة وفاة الشاب **زاكي**، وذلك في قوله: " إلى أن اتصلت بنا إدارة مستشفى إبن سينا، تعلّمنا بأنّ **زاكي** في قسم الاستعجالات. لم يسعفني القدر أنا وأمه (الطاووس) المحروقة عليه، وبقية أخواته من رؤيته حياً. فقد غادرت روحه إلى بارئها قبل وصولنا."[4]

واستناداً إلى ما تم ذكره، فإنّ الكاتب أورد لفظ مستشفى كذلك في حادثة وفاة أخرى، بقوله:" تنقلت في سيارة الإسعاف معه إلى المستشفى، قبل حضور أهله لفظ أنفاسه الأخيرة مسلما روحه إلى بارئها."[1]

---

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي ، ص 98.

[2]- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء والزمن، الشخصية ، ص55.

[3]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 103.

[4]- المصدر نفسه، ص 125.

نستنتج ممّا سبق أنه هناك علاقة وطيدة وصلة وثيقة بين المكان والإنسان، فالأخير لا يمكنه الاستغناء عن المكان حيث يمثل نقطة تحول في حياته إذ يعكس التجربة الإنسانية لذاته، ويحدّد هويته وكيانه. أمّا بالنسبة للرواية فالمكان بؤرة العمل الروائي، فلا يمكن تصور عمل روائي خال من مكان ففيه تبنى عناصر الرواية.

[1]- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ص 129.

خاتمة

بعد الغوص في ثنايا الموضوع وختام بحثنا هذا، توصلنا إلى جملة من النتائج التي سنقدمها كالآتي :

- تعمل المدينة على تغيير الرؤى الفكرية للإنسان بفعل الإغراءات الحضارية التي تحوزها.
- يختلف مفهوم الإنسان داخل الفضاءات الحضارية وإملاءاتها الأيديولوجية، بحيث يخضع هذا المفهوم إلى إلى الإطار المرجعي الذي يحدده النسق الحضاري.

_ كشفت الرواية عن مجموعة من القضايا المهمشة كقضايا القتل، والحالات الثقافية التي يؤول إليها المهاجرون في بلاد الغربة في ظل مغريات التحضر والتمدن الغربي.

_ كشفت قراءة الرواية عن مساهمة النسق الحضاري الخاص بالمدينة في خلق صراعات هوياتية للإنسان، قائمة على التاريخ الممتد من جهة، وفي خلق توازنات ذاتية للإنسان مع نفسه ومع غره من جهة اخرى.

_ جاءت الرواية بمثابة برهان على أن عمل الروائي (بما يملكه هذا الأخير من زاد معرفي وأدبي) ، هو المرآة العاكسة للحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها، إذ عكست تجربة إنسانية واجتماعية تتقاطع كثيرا مع الواقع المعاصر وحقائقه .

_ كشفت رواية بومدين بلكبير عن مسألة ضاربة في الجذور هي الصراع التاريخي القائم بين الشرق والغرب، وذلك استنادا للحوار الذي دار بين مارسيل الغربي الحاقد على جواد الشرقي ، وشخصية عدنان عبد اللاوي الشرقي الحاقد على الغرب.

_ تعدّ المدينة كنوع من الأمكنة الواقعية والروائية ركنا أساسيا في العمل الروائي ، إذ لها دور مهم في سير أحداث الرواية ، حيث عمد الكاتب إلى توظيف نوعين من الأماكن ، الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة.

- تهيمن الكتابة المعاصرة على الإنتاج الأدبي، بحيث تتميز هذه الكتابة بخصوصية استثمار الواقع المعيش ، و انعكاسه في مجموع الأفكار التي يسوقها الكاتب نيابة عن جماعة بشرية يشترك معها في مجمل تقاليد التفكير. وهي الفكرة الأساسية التي طرحها جورج لوكاتش من خلال مفهومه لـ (رؤية العالم)

وأخيرا الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل ويسر ختامه، ونرجو أن نكون قد وفينا البحث حقه، والرواية نصيبها في الدراسة.

ملاحق

الملحق رقم 01 :السيرة الذاتية بومدين بالكبير [1]:

ولد بومدين بلكبير في 12 جانفي 1979م بمدينة عنابة، وهو أستاذ جامعي محاضر وباحث جزائري متحصل على شهادة الدكتوراه عام 2013م، في تخصص علوم التسيير والتدقيق الثقافة التنظيمية وإدارة التغيير والابتكار.

له العديد من الكتب المشهورة أهمها:

-إدارة التغير والأداء المستمر في المنظمات العربية، دار العالم العربي 2009م.

-عصر الاقتصاد والمعرفة، دار الوطن، الجزائر، 2012م.

-دراسات ميدانية في إدارة الأعمال، دار اليازوري، عمان، 2012م.

-قضايا معاصرة في إشكالية التقدم المجتمع العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، تونس 2014م.

-الربيع العربي المؤجل، دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2015م.

-الثقافة التنظيمية في منظمات الأعمال، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016م.

- رواية خرافة الرجل القوي، منشورات الضفاف ومنشورات الاختلاف الجزائر، 2016م.

-رواية زوج بغال، منشورات الضفاف ومنشورات الاختلاف الجزائر،2018م.

كما نشر مجموعة من الدراسات والأبحاث في العديد من المجلات والدوريات العلمية المفهرسة، ومحكمة دوليا وشارك في العديد من الملتقيات والمؤتمرات العلمية والعربية والدولية.

-له عضوية في مجموعة من جمعيات ومنظمات المجتمع المدني.

-ينشر بانتظام مقالات فكرية وثقافية في الجزائر ومجلات منها مجلة العربي الكويتية، ومجلة رؤى الثقافية.

[1] . ينظر :
https://ecocastel.blogspot.com/search?q=%D8%A8%D9%88%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86+%D8%A8%D9%84%D9%83%D8%A8%D9%8A%D8%B1

الملحق رقم 02، ملخص الرواية:

تعالج رواية (خرافة الرجل القوي) مسألة الهجرة والبحث عن الذات والهوية، وصراع الحضارات بين الشرق والغرب، وبين الغرب والشرق.

جاءت الرواية في ثلاثة أقسام، وتدور حول أربعة مدن كانت مسرحا لأحداثها، وهي مدينة باريس، شارلوروا البلجيكية، قسنطينة وعنابة.حيث يبدأ السرد الروائي من مدينة شارلوروا البلجيكية وينتهي في مدينة عنابة الجزائرية، إذ يقتل شاب يدعى سليم زهري على يد ثلاثة رجال أتراك بحديقة عمومية لمدينة شارلوروا، المدينة المليئة بالمهاجرين المغاربة الأتراك الإيطاليين وغيرهم.فيعمل جاهدا. بطل الرواية جواد زهري على فك لغز جريمة قتل الضحية الذي لا يُعرف عنه سوى أنه مهاجر غير شرعي من أصول جزائرية، وذلك بعدما تعرض لاستفزازات من شخص يدعى مارسان ماسان، فيتوجه إلى مركز الشرطة ليلتقي بشرطية تساعده في تقديم بعض المعلومات حول الضحية وتفاصيل الجريمة.

وعقب هذه الحادثة التقى بشخص يسمى عدنان عبد اللاوي وهو شاب مغربي، فيخبره بأنه كان صديق الضحية سليم زهري الذي هاجر من الجزائر نحو أوروبا من أجل العيش بكرامة.

ينطلق جواد زهري من مدينة باريس بحثا عن حقيقة سليم زهري دون معرفة مكان عائلته، فتبدأ رحلة بحثه من مدينة قسنطينة التي تظهر في الرواية بفرادتها الطبيعية، وخصوصية عمرانها، المدينة التي بنيت فوق صخرة تربط جسورها المعلقة بصخورها العالقة، الجسور والصخور التي لها علاقة حميمية بالإبداع والجنون وحتى الانتحار.

انتحار الشاعر فاروق أسميرة، وانتحار لمين مرير عالم الفيزياء النووي، وصالح زايد الإعلامي المثقف المهموم بقضايا الأمة، وانتحار رشيد زهري عم البطل...إلخ .

يضاف إلى المكون الطبيعي الذي تزخر به مدينة قسنطينة مكونات أخرى منها: مكونها الثقافي وتراثها العريق الذي يتمثل في العادات والتقاليد، والأعراف، والأعلام، والموسيقى، والمقاهي العريقة كمقهى النجمة، وتظهر الرواية في الكثير من الأحيان بتناقضاتها الصارخة والصادمة.

لم يعثر جواد زهري على أي أثر لعائلة سليم زهري في قسنطينة وبعد أن كاد يفقد الأمل، حتى تلقى معلومة من عمه محمد الصالح الزهري تجعله يتجه إلى عنابة، وهي مدينة ساحلية قريبة من الحدود الجزائرية التونسية.يلتقي هناك في طريقه للبحث عن سليم زهري بالعديد من الشخصيات في أماكن وأحياء كثيرة ومختلفة تساعده في رحلته تلك.فيكتشف الكثير من أسرار المدينة والناس، وحقيقة الضحية سليم زهري، والذي اتضح في الأخير أنه شقيقه من والده عبد المجيد زهري الذي يقطن في مدينة شطايبي بمدينة عنابة.

Editions Dahlab
Editions Dahlab
بومدين بلكبير
خرافة
الرجل القوي
رواية

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولا، قائمة المصادر:

- بومدين بلكبير: خرافة الرجل القوي، ط1، منشورات ضفاف- منشورات الاختلاف، بيروت- لبنان، 1437هـ/2016م.

المعاجم والقواميس العربية:

1- أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

2- إبراهيم أغيس، عطية صوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد: معجم الوسيط، ج1، ط2، مطابع دار المعارف، مصر، 1322هـ- 1972م.

3- أبي الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح إبراهيم شمس الدين، ج1، ط2، الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1429هـ، 2008م.

4- أبي الفضل ابن منظور: لسان العرب، مج 14، ط4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2005.

5- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصّحاح، تح: محمد تامر، مج 1، دار الحديث القاهرة، 1430هـ- 2009م.

6- بطرس البستاني: محيط المحيط، مج8، تح محمد عثمان، ط1، دار الكتب العلمية؛ بيروت، لبنان، 2009.

7- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، د ط، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.

8- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان،1982.

9- حموي صبحي، نعمه أنطوان، الحموي مأمون، حشيمه كميل إسكندر: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ط2، دار المشرق، بيروت، 2001.

10- الخليل ابن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، تح مهدي المجزومي السمرائي، بيروت، دار مكتبة الهلال، ج07.

ثانيا: قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

1- إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، ط1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.

2- باقر الصدر محمد: الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية، ط3، دار الكتب العلمية، النجف الأشرف، 1388هـ.

3- بحراوي حسن: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن ، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1990م، ص 93.

4- بحري محمد الأمين: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، (دراسة في نقض النقض) ، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف الجزائر: 1436هـ- 2015 م.

5- بكار عبد الكريم : تجديد الوعي، ط1، دار القلم دمشق، دار الشامية بيروت، 1441هـ، 2000م.

6- حلمي مطر أميرة: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، طبعة جديدة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

7- عبد الله محمد فتحي: الجدل بين أرسطو وكنط (دراسة مقارنة) .

8- عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية، د ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م.

9- عرفة عبد القادر: المدينة والسياسة (دراسة في الضروري في السياسة لابن رشد)، ط1، مؤسسة فريد ريش إيبرت الألمانية، القاهرة، 2006م.

10- علي عبد الرؤوف: مدن العرب في رواياتهم، ط1، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة- جمهورية مصر العربية، يناير 2017م.

11- كيلة سلامة: الجدل والتصور المادي للتاريخ، سلسلة دراسات ماركسية (10)، ط1، منشورات الوعي الجديدة ، 2010م.

12- كيلة سلامة: حول الجدل المادي، سلسلة دراسات ماركسية (13)، ط1، منشورات الوعيالجديد، 2011م. نخبة من أساتذة التاريخ : المدينة والحياة المدنية، (دراسات في تاريخ العراق وحضارته)، ج1، بغداد، 1988م .

13- مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية-جمهورية مصر العربية، 2003م.

14- النقاطي حاتم: مفهوم المدينة (في كتاب السياسة لأرسطو)، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية- اللاّذقية، 1995م.

المراجع المترجمة:

1. إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، تر، محمد سيد رصاص، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا دمشق.

2. أنطونيو داماسيو: الشعور بما يحدث، (دور الجسد والعاطفة في صنع الوعي)، تر: رفيف كامل غدّار، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، 1431هـ- 2010م.

3. إيمانويل كنط: ثلاث نصوص تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، تع تع ، محمود بن جماعة ، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2005م.

4. طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، تر: سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان أيلول- سبتمبر، 2010م.

5. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان: 1404 هـ / 1984م.

الدوريات والمجلات:

1. إمام عبد الفتاح إمام: مجلة التفاهم وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطة عمان، 2015/03/31، المجلد 2015 العدد 46.

2. شرقي رحيمة: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، العدد الحادي عشر/جوان 2013م.

3. عمر شطة: مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م10، ع4، 2021م.

4. لغرس سوهيلة: مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، مجلد 7، العدد الثاني، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر (الجزائر) 2022/06/01.

5. ندى بنت حمزة بن عبده خياط: مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م 28، ع6، 2020م.

الموسوعات:

1. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع خليل أحمد خليل/ أحمد عويدات، ط2، مج1، A-g ، منشورات عويدات، بيروت-باريس،2001م.

الرسائل الجامعية:

1. مازية حاج علي: الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، إش: جمال مباركي، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه- LMD في الأدب العربي واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016م-2017م.

المحاضرات:

1. أيسر فائق الحسن الألوسي: محاضرات المدخل لدراسة الفكر الإسلامي، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإسلامية- رمادي قسم العقيدة والدعوة والفكر.
2. بوعزيز بوبكر: محاضرات في مقياس : مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2017، 2018.

المواقع الإلكترونية

1. فريق موقع بوابة علم الاجتماع: تعريف المدينة عند رواد علم الاجتماع،

.www.b-sociology.com،2023/4/18:00،20

2. 16 ماي 2023، 00: 8 ، ويكيبيديا:ar.m.wikipedia.org

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفهرس	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: مصطلحات ومفاهيم نظرية	
تمهيد	6
I/مفهوم الجدلية	14-6
1-المفهوم اللغوي	8-6
2-المفهوم الاصطلاحي	14-8
2 -أ- في الفلسفة اليونانية القديمة	10-8
2-ب- في الفلسفة الحديثة	14-10
II /مفهوم المدينة	19-15
1- المفهوم اللغوي	16-15
2- المفهوم الاصطلاحي	19-16
III/مفهوم الإنسان	25-19
1-المفهوم اللغوي	22-20
2-المفهوم الاصطلاحي	24-22
الفصل الثاني: جدلية الإنسان والمدينة في رواية (خرافة الرجل القوي) لبومدين بلكبير	
تمهيد	27
I/قراءة في رواية (خرافة الرجل القوي)	28-27
II/ أنواع المدينة في الرواية	31-28
1-المدينة الواقعية	30-28
2-المدينة المتخيلة	31-30
III/ علاقة الإنسان بالمدينة في الرواية	34-31

1- علاقة اتصال	32-31
2- مستوى انفصال	34-32
VI/المدينة ووجود الإنسان في الرواية	47-34
1-المدينة وفكر الإنسان	39-34
2-المدينة وهوية الإنسان	45-39
3-المدينة ووعي الإنسان	47-45
V/الإنسان وأنسنة المدينة	57-47
1-الأماكن المفتوحة	54-49
2-الأماكن المغلقة	57-54
خاتمة	59
الملحق	64-61
قائمة المصادر والمراجع	69-66
فهرس المحتويات	72-71
الملخص	74

الملخص

الملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع جدلية الإنسان والمدينة في رواية (خرافة الرجل القوي) للكاتب **بومدين بلكبير**. وسلطت الضوء على العلاقة بينهما والتجاذبات التي تكتنف هذه العلاقة بهدف تبيان أثر الفضاء الحضاري في رسم ملامح الفكر والوعي والهوية. ولتحقيق هذا الهدف، انتهجت الدراسة منهج قراءة ثقافية ، تخللته مواضع للتحليل والمناقشة، سمح بمقاربة حوارات داخلية وأخرى خارجية، وكذا مقاربة أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة داخل الرواية، وظفّها الكاتب لتبيان أهميتها في توجيه مواقف الإنسان وخياراته، وتحركاته في ظل البيئة الحضارية مُمثّلة بالمدينة والمدن الواردة، وجاءت هذه المعالجة ضمن إطار عام يجمع بين المدن الواقعية والمدن المتخيلة.

ووقفت الدراسة أيضا على كثير من جوانب الفكر الاجتماعي التي سوّقها الكاتب نيابة عن الجماعة البشرية التي يشترك معها في مبادئ الهوية والتاريخ والديانة، ماجسّد فكرة تشبّع الكاتب بفكرة الاتجاه الواقعي المعاصر، والذي أسس له جورج لوكاتش عبر مفاهيم في الكتابة الروائية المعاصرة أهمها مفهوم (رؤية العالم).

الكلمات المفاتيح: جدلية، الإنسان، المدينة، علاقة تأثير، اتصال، انفصال.

Summary :

This study focused on the topic of man and city polemicism in the novel (Myth of the Strongman) by Boumedine Belkabir. It highlighted the relationship between them and the attractions surrounding this relationshipbetween them and the attractions surrounding this relationshipin order todemonstrating the impact of city in shaping thought, awareness and identity.

To achieve this goal, the study took an analytical approachfor treating spaces and human movements within a general framework that combines realistic and imagined cities.

keywords: **dialectic**, **human**, **city, influence relationship, connection, separation.**